
اجاثا كريستي
جزيرة الموت



أجاثا كريستي

{1976 - 1890}

-الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى **103** لغات.

- بيع من كتبها أكثر من **900** مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

- كاتبة روايات بوليسية، ولدت في إنجلترا، تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصَّبها ملكة عليهم جميعًا. تميَّزت أيضًا بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديّون، ولكنّهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمَّنت أيضًا أهدافًا إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

جزيرة الموت

And Then There Were None

وجهت ثماني دعوات بطريقة لا تثير الشبهات إلى ثماني شخصيات مختلفة لقضاء إجازة في جزيرة نائية، وعند وصولهم لم يجدوا سوى الخادم وزوجته، مع اعتذار من المضيف لعدم تواجده وأنه سيلحق بهم هو وزوجته في اليوم التالي، وفي ليلة وصول المدعوين وفي أثناء تناولهم الشراب بعد العشاء سمعوا صوتًا يتهم كل المدعوين بارتكاب جريمة قتل، فأصيبوا بالقلق والهلع. وفجأة تتوالى جرائم القتل الواحدة بعد الأخرى تمامًا كما ذكر في القصيدة المكتوبة على جدران حجراتهم، ويتم تفتيش الجزيرة بحثًا عن المضيف المجهول. «إنه واحد منا» هذا ما قاله أحدهم. فهل يتوقف هذا المضيف المجنون - الذي يرى نفسه رمزًا لتحقيق العدالة - عن القتل؟ وهل هناك من سيغادر هذه الجزيرة حيًّا؟

ثمن الكتاب

لبنان ـــــ 5000 ل.ل.	قطر ـــــ 10 ريالات
سوريا ـــــ 100 ل.س.	عُمان ـــــ 1.5 ريال
الاردن ـــــ 2 دينار	مصر ـــــ 10 جنيهات
السعودية ـــــ 10 ريالات	المغرب ـــــ 30 درهما
الكويت ـــــ 1 دينار	ليبيا ـــــ 5 دنانير
الإمارات ـــــ 10 دراهم	تونس ـــــ 4 دنانير
البحرين ـــــ 1.5 دينار	اليمن ـــــ 400 ريال

ISBN 995338177-1



جزيرة الموت

برنـارد الأسطه

يقدّم

الرواية المعرّبة

جزيرة الموت
(35)

تأليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

تعريب الأديب

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

دار ميوزيك للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش. م. م

الإدارة العامة والتوزيع

تليفون 666 212 9 961 00 فاكس 665 212 9 961 00

ص.ب 374 جونيه – لبنان

www.inter-press.org Email:info@inter-press.org

وكلاء التوزيع

المركز الدولي – دار البشير

تاليف

Agatha Christie

الإسم الأصلي للرواية

And Then There Were None

(1939)

الغلاف بريشة الفنان

عبد العال

- 1 -

جلس السيد "**جستيس وارجريف**" القاضي المتقاعد في أحد أركان عربة التدخين الملحقة بعربات الدرجة الأولى من القطار ، وهو ينفث دخان سيجاره ويتفحص باهتمام الأخبار السياسية بجريدة "**التايمز**" .

ونحّى جريدته جانبًا وأخذ ينظر من النافذة كان القطار يمرق خلال "**سمرست**" ونظر إلى ساعته ، وكانت لا تزال لديه ساعتان .وأخذ يستعيد في ذاكرته كل ما كتب عن جزيرة "**نيجر**" مثل ما ذكر عن شراء مليونير أمريكي مغرم بسباق اليخوت للجزيرة وعن القصر الفاخر الذي بناه على الشاطئ المقابل لشاطئ "**ديفون**" .. ولكن الجزيرة والقصر في طريقهما الآن للبيع : نتيجة لما ترتب على كون زوجة المليونير ملاّحة فاشلة. وظهرت إعلانات كثيرة في الصحف تعرض الجزيرة وما عليها للبيع ، ثم ترامت أنباء سيئة تقول إن السيد "**أوين**" اشترى الجزيرة . وبعدها انطلقت شائعات محرري الاجتماعات بالصحف فقالوا إن المشتري الحقيقي للجزيرة هو ممثلة السينما الأمريكية الآنسة "**جابريل تيرل**" وقالوا إنها ستكون مقرًا ملكيًا أو مخبأً لشهر عسل اللورد "**ل**" كما قالوا إن البحرية قد اشترتها لإجراء بعض التجارب السرية .

وأخرج السيد "**جستيس وارجريف**" من جيبه خطابًا . كان الخطاب مكتوبًا بخط رديء ، إلا أن بعض الكلمات هنا وهناك كانت تبدو واضحة .

« عزيزي "**لورنس**" .. كم من السنين قد مضت دون أن أسمع شيئًا عنك .. يجب أن تحضر إلى جزيرة "**نيجر**" .. أجمل مكان ، لديّ الكثير الذي يستحق الحديث .. الأيام القديمة ، حمام الشمس ، الثانية عشرة وأربعون دقيقة من "**باوينجتون**" . قابلني في "**أوكبريدج**" » . وكان الخطاب مذيلاً بتوقيع المخلصة .. "**كونستانس كليمنجتون**" .

وأجهد السيد "**جستيس وارجريف**" ذاكرته محاولاً تذكر آخر مرة التقى فيها بالسيدة "**كونستانس كليمنجتون**" ، من المحتمل أن يكون ذلك منذ سبع أو ثماني سنوات مضت ، كانت تتجه حينئذ إلى "**إيطاليا**" للتمتع بالطبيعة وأشعة الشمس .

وقال لنفسه إن "**كونستاس كليمنجتون**" هي عين المرأة التي يمكن أن تشتري جزيرة لتحيط نفسها فيها بالغموض .

ألقت "**فيرا كليثون**" برأسها إلى الوراء وأغمضت عينيها عن زملائها الخمسة في السفر بعربة الدرجة الثالثة في القطار. ياله من قيظ ذلك الذي يصحب السفر بالنهار ! سيكون الوصول إلى شاطئ البحر رائعًا ، لقد كان من حسن الحظ أن عثرت على هذه الوظيفة .. عندما تبحث عن عمل في العطلة فإن هذا دائمًا يعني رعاية مجموعة من الأطفال ، أما الحصول على أعمال سكرتارية فإنه شيء نادر ، حتى مكتب التوظيف لم يكن لديه أي أمل في العثور على عمل لها، وعند ذاك وصل إليها هذا الخطاب:

«لقد تلقيت اسمك من مكتب تشغيل النساء الماهرات مصحوبًا بالتوصيات اللازمة ، وفهمت من الخطاب أنهم يعرفونك شخصيًّا. سيسرني أن أدفع لك المرتب الذي تحددينه وسأكون في انتظارك لتبدئي العمل يوم 8 آب "اغسطس". استقلي قطار الثانية عشرة والدقيقة الأربعين من "**باوينجتون**" ، وسينتظرونك في محطة "**أوكبريدج**" .. مرفق طيه خمسة جنيهات لنفقات السفر».

المخلص

"**إدنانس أوين**"

وفي أعلى الخطاب كان العنوان مطبوعًا : جزيرة "**نيجر**" ، "**سيكلهافن**" – "**ديفون**" .

جزيرة "**نيجر**" ! يا للغرابة ! لم يكن للصحف من شاغل سواها في الفترة الأخيرة، بترديد كل أنواع اللغط والشائعات المثيرة حولها ، على الرغم من أن معظمها على الأرجح كان كاذبًا ، ولكن من المؤكد أن المنزل قد بناه مليونير، وقيل إنه بالتأكيد آخر صيحة في عالم الفخامة .

كانت "**فيرا كليثون**" قد فكرت بعد أن أنهكها التعب خلال العام الدراسي ، وقالت لنفسها :«ليس بالشيء الرائع أن يكون المرء مدرس ألعاب في مدرسة من الدرجة الثالثة .. لو أنني أستطيع العمل في مدرسة محترمة ».

ثم فكرت والخوف يعتصر قلبها قائلة : «ولكنني محظوظة للحصول على العمل الذي أشغله الآن. على كل حال فالناس لا يحبون من يقدم للتحقيق معه في

محكمة "**كورونر**" ، حتى لو أن المحكمة قد حكمت ببراءته » .. وتذكرت أيضًا أنه قد مدحها لحضور بديهتها وشجاعتها، ولقد كانت السيدة "**هاميلتون**" مثالاً للطيبة معها . ولكنها لم تكن تهتم بـ"**هوجو**" .

وفجأة اقشعر بدنها على الرغم من حرارة جو العربة وتمنت لو لم تكن ذاهبة إلى شاطئ البحر .. رأس "**سيريل**" تطفو وتغوص وهي تسبح نحو الصخرة .. تطفو وتغوص.. تطفو وتغوص . تشق طريقها في الماء وإن كانت تعرف بالتأكيد أنها لن تصل في الميعاد .

البحر .. بقاعه العميق الدافئ الأزرق ، وأوقات الصباح تمضي في استرخاء على الرمال . "**هوجو**" هو الذي قال إنه أحبها ..

يجب الا تفكر في "**هوجو**" .

وفتحت عينيها وحدقت إلى الرجل الجالس قبالتها. كان رجلاً طويلاً ذا وجه بني وعينين لامعتين ، وفم عنيد قاس .

وقالت لنفسها : « أراهن أنه قد زار بعض الأماكن الممتعة في العالم، وأنه قد رأى أشياء مثيرة » .

*****

ولخص "**فيليب لومبارد**" رأيه في الفتاة الجالسة أمامه ، بعد أن رمقها بنظرة سريعة ، بأن قال لنفسه : « جذابة للغاية .. وإن كانت تبدو كالمدرسات » . وتخيلها باردة الطباع من النوع الذي يحافظ على نفسه في الحرب أو الحب.. كم يسره أن يأخذها في ... وقطب وجهه: "كلا ، أبعد هذا عن ذهنك. إنك مقدم على عمل ويجب أن تركز ذهنك في هذا العمل" . وتعجب فيما كانت عليه طبيعة الأمر. لقد كان هذا اليهودي الصغير غامضًا للغاية: "إما أن تقبلها أو لا تقبلها يا كابتن "**لومبارد**"" .

– أتقول مائة جنيه ؟

لقد قالها بطريقة عادية وكأن المائة جنيه لا تعني شيئًا بالنسبة إليه.. مائة جنيه

في الوقت الذي كان يتناول فيه آخر وجبة له ، وخيل إليه أن اليهودي الصغير لم يخدع على الرغم من ذلك . شر ما في اليهود أنه لا يمكن خداعهم فيما يمس النقود ..

وقال باللهجة العريضة نفسها :

– الا يمكنك أن تعطيني أية بيانات أخرى ؟

وهز السيد "**إيزاك موريس**" رأسه الصغير الأصلع بثقة قائلاً :

– نعم يا كابتن "**لومبارد**" .. هذا كل ما في الأمر . من المفهوم لدى عميلي أنك رجل حسن السيرة ولكنك في ظروف سيئة. في مقدوري أن أسلمك مائة جنيه تسافر في مقابلها إلى "**سيكلهافن**" بـ"**ديفون**" . أقرب محطة هي "**أوكبريدج**" وسينتظرونك هناك ثم ينقلونك بالسيارة إلى "**سيكلهافن**" حيث يقلك قارب ذو محرك إلى جزيرة "**نيجر**" ، وهناك ستكون في ضيافة عميلي .

وقال "**لومبارد**" فجأة :

– والمدة ؟

– لا تزيد على أسبوع .

وقال الكابتن "**لومبارد**" وهو يعبث بشاربيه الصغيرين :

– إنك لتفهم أنني لا أستطيع القيام بأي عمل غير قانوني .

وكانت عينا الرجل الآخر تبرقان بنظرة حادة وهو يقول هذا الكلام، وظهرت ابتسامة باهتة جداً على شفتي السيد "**موريس**" وهو يجيب برصانة :

– لو أنك ترى أنني أقترح عليك القيام بأي عمل غير قانوني فبمقدورك أن تنسحب .

لعنة الله على الحيوان الصغير الأملس ، لقد ابتسم ، كما لو أنه كان يعرف أن القانون لم يكن له مكان في ماضي "**لومبارد**" .

وكشر "**لومبارد**" عن أنيابه .

*****

وفي إحدى عربات القطار الممنوع فيها التدخين جلست الآنسة "**إميلي برنت**" منتصبة كعادتها. كانت في الخامسة والستين ، وعلى الرغم من هذا لم تكن تميل إلى الاسترخاء . لقد كان والدها "كولونيل" من الطراز العتيق؛ ولذا فقد كان حريصًا في هذه الأمور.

إن الجيل الحاضر لكسول في تصرفاته وفي كل شيء آخر بصورة تثير الخجل .

وجلست الآنسة "**برنت**" يقلقها الإحساس بتمسكها بمبادئها الحقة ، وفي عربة الدرجة الثالثة وهي فخور بكل ما فيها من مشقة وحرارة .

كانت شفتا الآنسة "**برنت**" مضمومتين جيداً ، فقد كانت تريد أن تقتدي بفريق معين من الناس .

*****

وتذكرت عطلة الصيف في العام الماضي ، وعلى كل حال فإن عطلة هذا العام ستكون مختلفة تمامًا في جزيرة "**نيجر**" .

أخذت تستعيد في ذهنها الخطاب الذي كانت قد قرأته عدة مرات من قبل .

«عزيزتي الآنسة "**برنت**" :

أرجو أن تكوني ما زلت تذكرينني . لقد كنا معًا في منزل ضيافة في "**سيكلهافن**" في شهر آب "أغسطس" منذ عدة سنوات مضت حيث كنا نشترك في كثير من الميول . إنني أشرع في إقامة منزل ضيافة خاص بي في جزيرة بالقرب من شاطئ "**ديفون**" ، أعتقد أنه من الضروري إيجاد مكان فيه طعام بسيط جيد وفريق من الناس من الطراز العتيق ، مكان لا يوجد فيه تلك المنغصات ومكبرات الصوت التي تدار في منتصف الليل . سأكون سعيدة لو أمكنك أن تقضي بعضًا من عطلة الصيف في جزيرة "**نيجر**" كضيفتي دون تحمل أية نفقات.. هل يناسبك أوائل آب "أغسطس"؟ الثامن منه مثلاً ؟»

المخلصة (ي . ن . و) .

ما هو اسمها ؟ كان من الصعب قراءة التوقيع، وفكرت "**إميلي برنت**" بصبر

نافذ :

الكثير من الناس يوقعون بطريقة لا يمكن فهمها .

وأخذت تستعيد في ذاكرتها الناس الذين التقت بهم في "**سيكلهافن**" . "لقد أمضيت هناك عطلتي صيف متتاليتين.. كانت هناك تلك السيدة اللطيفة التي كانت في مقتبل عمرها . اسمها الآنسة .. الآنسة ..

ما اسمها ؟ لقد كان أبوها من رجال القانون وكانت هناك سيدة تدعى السيدة "**أولتون**" . أومن . كلا لقد كان اسمها بالتأكيد "**أوليفر**" .. نعم .. "**أوليفر**" .

جزيرة "**نيجر**" . لقد تذكرت بعض الأشياء التي قرأتها في الصحف عن جزيرة "**نيجر**" .. أشياء عن ممثلة سينما أو عن مليونير أمريكي .

إن مثل هذه الأماكن رخيصة بالتأكيد . فالجزر لا تلائم كثيراً من الناس .

وقالت "**إميلي برنت**" لنفسها : "سأقضي إجازة مجانية على كل حال" .

*****

نظر الجنرال "**مكارثر**" من نافذة القطار بينما كان يدخل "**إكستر**" حيث كان عليه أن يستقل قطاراً غيره . يا لبطء تلك القطارات الفرعية البطيئة ! .

لم يكن واضحًا له من يكون السيد "**أوين**" هذا .. لابد أن يكون واحداً من أصدقاء كل من "**سبون ليجارد**" و"**جوني دابر**" إن واحداً أو اثنين من أصدقائه القدامي سيحضرون وسيسعدهم أن يتحدثوا إليك عن الأيام الخالية .

حسنا ، سيسعده هو الآخر أن يتحدث عن الأيام الخالية .. لقد بدأ يتوهم أخيراً أن أصدقاءه القدامى يشعرون بالخجل منه، كل هذا بسبب تلك الشائعة الملعونة . يالله، لقد كان قاسيًا ! منذ ما يقرب من ثلاثين عامًا، لقد تكلم "**أرميناج**" عن الموضوع فيما يعتقد . يا له من جرو صغير ! ما الذي نعلمه عن هذا الموضوع ؟ حسن . إن التفكير في هذا الأمر لن يفيده. إن المرء ليحتمل أشياء وهمية. في بعض الأحيان يتخيل مثلاً أن شخصًا ما يتفحصه باهتمام .

إنه لمتشوق الآن لرؤية هذه الجزيرة .. جزيرة "**نيجر**" . لقد ترامى حولها كثير من

الشائعات . وضمن هذه الشائعات أن البحرية أو الجيش أو الطيران قد وضع يده عليها .

أما الذي بنى القصر عليها فهو ذلك المليونير الأمريكي الصغير "**ألمر روبسون**" ، لقد أنفق آلاف الجنيهات في بنائه كما قيل .

وها قد وصل إلى "**إكستر**" .. وعليه أن ينتظر ساعة أخرى وهو لا يريد الانتظار.. إنه يريد الوصول إلى ..

❋❋❋❋❋

كان الدكتور "**أرمسترونج**" يقود سيارته من طراز "**موريس**" في سهل "**ساليزبوري**" وقد نال منه التعب . إن للنجاح ضريبته . لقد مرت عليه أيام كان يقضيها جالسًا في غرفة الكشف بعيادته – في شارع "**هارتي**" – المجهزة بأحدث المعدات وأفخرها .. ينتظر خلال الأيام الخالية نجاح مغامرته أو فشلها.

حسن ، لقد نجحت. كان محظوظًا وماهرًا بالتأكيد ، كان ممتازًا في عمله .. ولكن هذا لم يكن كافيًا لكي ينجح.. يجب أن يواتيك الحظ أيضًا .. وقد واتاه تشخيص دقيق .. ومريضات من الحافظات للجميل – ذوات مال ونفوذ – كي يرتفع صيته ! "يجب عليك أن تستشيري "**أرمسترونج**" . شاب صغير تمامًا .. ولكنه ماهر للغاية . لقد عالج كل أنواع الأمراض لسنوات عدة وفي كل مرة يتوصل إلى بيت الداء لتوه" .

ولقد وصل الدكتور "**أرمسترونج**" إلى ما كان يبتغيه .. امتلأ وقته بالعمل ولم يعد لديه كثير من الفراغ . ولهذا فقد كان مسرورًا إذ يغادر "**لندن**" في هذا الصباح من شهر آب "أغسطس" في طريقه كي يقضي أيامًا فوق جزيرة بالقرب من شاطئ "**ديفون**" . إنها لن تكون إجازة بالمعنى الدقيق. لقد كان الخطاب الذي تلقاه غامضًا نوعًا ما ، ولكن "الشيك" الذي صحبه لم يكن غامضًا بالمرة . كان الأجر مرتفعًا . لابد أن آل "**أدينز**" يتمرغون في الأموال. كان يبدو أن هناك بعض الصعوبات .. زوج قلق على صحة زوجته ويريد تقريرًا عنها دون علمها. إنها لا

تقبل فكرة عرض نفسها على طبيب .. إن أعصابها..

أعصابها ! وارتفع حاجبا الطبيب . يا أولئك النسوة بأعصابهن المتعبة دائمًا! . حسن ، إنه لعمل مريح على كل حال . إن نصف النساء اللائي يستشرنه ليس بهن سوى الملل ، ولكنهن لن يشكرن لك إخبارهن بهذا . ويستطيع المرء أن يجد لهن علة ما .

كان من حسن حظه أن استطاع أن يجمع شتات نفسه بعد ذلك العمل . منذ عشرة .. لا... بل منذ خمسة عشر عامًا . لقد كاد أن يحطمه . ولكن الصدمة أعادت إليه تماسكه . كان قد أقلع عن الشراب كلية . يا لله ! لقد كانت الهوة قريبة جدًا ، على الرغم من ..

ومرقت إلى جواره سيارة بسرعة 130 كم في الساعة وهي تطلق بوقها بصورة مزعجة . وكاد الدكتور "**أرمسترونج**" ينحرف إلى المستنقع . لابد أنه أحد هؤلاء المجانين الصغار الذين يذرعون الريف بسرعة مخيفة .. لشد ما يكرههم .

*****

فكر "**أنتوني مارستون**" وهو يمرق بسيارته خلال بلدة "**مير**" قائلا :

"إن عدد السيارات التي تزحف على الطريق كبير جدًا . كثيرًا ما تجد شيئًا يسد الطريق أمامك . إن مسألة القيادة في "**إنجلترا**" تثير الشفقة . ليس الأمر هنا كما في "**فرنسا**" حيث يمكنك أن تطلق العنان لنفسك" .

هل يمكنه أن يتوقف ليتناول كأسًا ، أم يمضي في طريقه ؟ لا يزال أمامه الكثير من الوقت ، ليس أمامه سوى 160 كم أخرى أو أكثر قليلاً . من المستحسن أن يتناول كأسًا من الشراب : يا له من يوم حار !

لو أن الجو استمر هكذا فستكون تلك الجزيرة متعة رائعة . من يكون آل "**أدينز**" هؤلاء ؟ من المحتمل أنهم قوم أغنياء بخلاء . لقد كان "**بادجر**" ذا فراسة في تشمم مثل هؤلاء القوم لأول وهلة . بالتأكيد كان يجب أن يكون كذلك نظرًا لعدم امتلاكه أية أموال.

وبعد أن خرج من المشرب تمطى وتثاءب ثم صعد إلى سيارته . ورمقته العديد من النساء بنظرات الإعجاب .. قوامه الممشوق الفارع ، وشعره الناعم ووجهه الجميل وعيناه الزرقاوان .

*****

كان السيد "**بلور**" يستقل القطار البطيء الذي يقوم من "**بليموث**" ، ولم يكن في العربة سوى راكب آخر كبير أعمش ، عليه سيماء البحر . وفي هذه اللحظة كان قد أخلد إلى النعاس .

وكان السيد "**بلور**" يدون شيئًا في مذكرته باهتمام .

وغمغم لنفسه قائلاً : "هذه قائمة بالمجموعة .. "**إميلي برنت**" ، "**فيرا كليثون**" ، دكتور "**أرمسترونج**" ، "**جستيس وارجريف**" العجوز ، "**فيليب لومبارد**" ، جنرال "**مكارثر**" ، "**س.م.ج**" ، "**د.س.و**" ، خادم وزوجته وهما آل "**روجرز**" " .

وأغلق مذكرته وأعادها إلى جيبه . ونظر بطرف عينيه إلى الرجل النائم . وبينما كان يتفحص نفسه بدقة في مرآة القطار غمغم لنفسه قائلاً : "إنني أبدو كما لو كنت "**ميجور**" . آه! لقد نسيت ، هنالك ذلك الجندي وقد يفطن إلى حقيقتي على الفور . "**جنوب إفريقيا**" .. هذا هو موطني . ليس لأحد من هؤلاء القوم أية علاقة بـ"**جنوب إفريقيا**" . لقد فرغت لتوي من قراءة كتاب بشأنها فيمكنني أن أتحدث عنها دون خطأ " .

ولحسن الحظ يوجد الكثير من رجال المستعمرات . وأحس السيد "**بلور**" أنه يمكنه أن يدخل زمرة المجتمع الراقي كرجل ثري قادم من "**جنوب إفريقيا**" .

جزيرة "**نيجر**" .. صخور ذات رائحة مميزة مغطاة بالأعشاب على بعد كيلو متر ونصف من الشاطئ ، ولقد أطلق عليها هذا الاسم لمشابهتها برأس رجل ذي شفتين زنجيتين.

يا لها من فكرة مضحكة أن يقام بيت عليها . سيكون مزعجًا في الأجواء الرديئة

ولكن لذوي الثراء نزواتهم .

واستيقظ العجوز النائم وقال :

– لا يمكنك التنبؤ في البحر على الإطلاق .

وقال السيد "بلور" مهدئًا :

– هذا حقيقي ، لا يمكنك .

وأصيب الهرم بالشهقة مرتين ثم قال :

– هناك دوامة تقترب .

فقال السيد "بلور" :

– كلا يا رفيقي . . إنه ليوم جميل .

فقال الهرم بغضب :

– هناك دوامة تقترب . . يمكنني أن أتنسمها .

فقال السيد "بلور" بهدوء :

– ربما تكون على صواب .

وتوقف القطار عند إحدى المحطات فوقف الهرم بثبات وقال :

– سأنزل هنا . .

وساعده السيد " بلور" . . وتوقف الهرم بالباب ورفع يده وهو يقول بصوت رخيم:

– ترقب وادع الله . . ترقب وادع الله . . إن يوم الحساب على الأبواب .

ونزل إلى رصيف المحطة ونظر إلى السيد "بلور" بعظمة وقال :

– إنني أخاطبك أيها الشاب . إن يوم الحساب لجد قريب .

وفكر السيد "بلور" وهو يعود إلى مقعده .

– إنه لأقرب مني إلى يوم الحساب .

ولكنه كان مخطئًا كما أثبتت الأحداث .

- 2 -

وقفت مجموعة صغيرة من الناس خارج محطة "أوكبريدج" في تردد قصير .

وخلفهم وقف الحمالون حول حقائب السفر .. وصاح أحد هؤلاء الحمالين قائلاً :

– "**جيم**" ..

وخطا أحد سائقي العربات الأجرة إلى الأمام في التو .

وتساءل السائق بلهجة أبناء "**ديفون**" :

– أنتم تقصدون جزيرة "**نيجر**" على ما أظن .

وبادرت أربعة أصوات تجيب بالإيجاب .. وبعدها على الفور أخذ بعضهم يتفحص البعض في ريبة .

وقال السائق موجهاً الكلام إلى السيد "**جستيس وارجريف**" بصفته أكبر الموجودين سنًّا .

– هنا سيارتان يا سيدي ، ويجب أن تنتظر إحداهما وصول القطار البطيء القادم من "**إكستر**" وسيصل بعد خمس دقائق يقل سيداً آخر . من المحتمل الا يضير أحدكم الانتظار . سيكون في هذا راحة أكثر لكم .

وتكلمت "**فيرا كليثون**" على الفور مدفوعة بشعورها بوصفها سكرتيرة ، قائلة :

– أنا سأنتظر إذا فضلتم أنتم الرحيل .

وتفحصت الثلاثة الآخرين بنظرها . كان في صوتها ونظرتها ذلك المعنى الذي ورثته من شغلها لوظيفة ذات حيثية . لقد اعتادت أن تدبر كل مباريات التنس التي كانت تلعبها طالباتها .

وقالت الآنسة "**برنت**" بخشونة :

– شكراً ..

ثم أحنت رأسها ودخلت إحدى السيارتين حيث كان السائق يمسك لها الباب وهو مفتوح .

وتبعها السيد "**جستيس وارجريف**" .

وقال الكابتن "**لومبارد**" :

– أما أنا فسأنتظر مع الآنسة ..

– "**كليثون**" ..

– وأنا اسمي "**لومبارد**" ، "**فيليب لومبارد**" .

وبينما كان الحمالون يضعون المتاع في السيارة الأجرة قال السيد "**جستيس وارجريف**" بحذر قانوني :

– إن الجو لجميل اليوم .

فقالت الآنسة "**برنت**" :

– نعم . . بالتأكيد . .

وفكرت في نفسها بأن رفيقها رجل عجوز محترم للغاية ليس على طراز أحد من نزلاء منازل الضيافة على شاطئ البحر . من الواضح أن الآنسة أو السيدة "**أوليفر**" لها معارف محترمون . .

وتساءل السيد "**جستيس وارجريف**" قائلاً :

– هل تعرفين هذه البقعة من المعمورة جيداً ؟

– لقد سبق لي زيارة "**كورنول**" و"**توركواي**" ، إلا أن هذه هي أول مرة أحضر فيها إلى "**ديفون**" .

فقال القاضي :

– وأنا كذلك ليس لي سابق معرفة بهذا المكان .

وتحركت السيارة الأجرة .

وقال سائق السيارة الأخرى:

– هل تحبان أن تستريحا في أثناء الانتظار ؟

فقالت "**فيرا**" مؤكدة :

– لا . . على الإطلاق .

وابتسم الكابتن "**لومبارد**" وهو يقول :

– إن هذا الجدار المشمس يبدو جذابًا . إلا إذا كنت تفضلين الدخول إلى المحطة .

– كلا بالمرة . . إنه لمن الممتع أن يخرج المرء من ذلك القطار المعتم.

– نعم ، إن السفر بالقطارات مرهق للغاية في هذا الجو .

– إنني أرجو أن يستمر هكذا . . أقصد الجو . إن الصيف في "**إنجلترا**" لخداع .

– هل تعرفين هذا المكان ؟ .

– لا ، لم يسبق لي الحضور إلى هنا بالمرة .

ثم اضافت – في سرعة عجيبة – توضيحًا لموقفها .

– إنني لم أر حتى مخدومتي .

– مخدومتك ؟ .

– نعم .. إنني سكرتيرة السيدة "**أوين**" ..

– آه ! فهمت .

وتغيرت لهجته ... أصبحت أكثر ثقة وسلاسة وهو يضيف :

– أو ليس هذا غريبًا بعض الشيء ؟

وضحكت "**فيرا**" وهي تقول :

– لا أعتقد هذا . لقد مرضت سكرتيرتها الخاصة فجأة فابرقت إلى مكتب العمل تطلب بديلاً لها فأرسلوني إليها .

– وهكذا تم الأمر إذن .. وأعتقد أنك لن تحبي العمل عندما تصلين إلى هناك .

وضحكت "**فيرا**" مرة ثانية وقالت :

– إنه عمل مؤقت .. وظيفة في العطلة . إن لدي عملاً دائمًا في إحدى مدارس البنات . في الواقع ، إنني أهاب رؤية جزيرة "**نيجر**" . كان هناك الكثير من اللغو عنها في الصحف مؤخرًا . أهي رائعة حقًّا ؟ .

فقال "**لومبارد**" :

– لا أدري . لم يسبق لي رؤيتها .

– حقًّا ؟ إن آل "**أوين**" مغرمون بها للغاية على ما أعتقد . كيف يبدون ؟ أخبرني من فضلك ..

وفكر "**لومبارد**" :« هذا شيء محرج .. أمن المفترض أن أكون قد قابلتهم أم لا ؟»

ثم قال بسرعة :

– هناك حشرة تزحف على ذراعك . لا . لا تتحركي .

ثم تظاهر بالإمساك بها وهو يقول :

– لقد امسكتها .

– شكرًا . هناك كثير من الحشرات بسبب الحرارة .

– نعم.. إنها الحرارة على ما أعتقد . من تنتظرين ؟ هل عندك فكرة ؟

– ليست لدي أية فكرة ..

وللتو سمعا صوت صفير القطار يقترب، وقال "**لومبارد**" :

– ها هو ذا القطار قد وصل .

وخرج من باب المحطة رجل طويل طاعن في السن عليه سيماء العسكرية . كان شعره الرمادي مصففاً، وشارباه البيضاوان مقصوصين بعناية .

وأشار الحمال وهو يترنح تحت الأثقال التي يحملها إلى "**فيرا**" و"**لومبارد**" .

وتقدمت "**فيرا**" وهي تقول :

– إنني سكرتيرة السيدة "**أوين**" هناك سيارة تنتظرنا . وهذا هو السيد "**لومبارد**" .

وتركزت العينان الزرقاوان الخابيتان على "**لومبارد**" . وللحظة بدا فيهما حكم ما.. هل قرأه أي أحد .. ؟

شخص حسن المنظر . ولكن فيه خطأ ما ..

ودلف ثلاثتهم إلى السيارة المنتظرة . وسارت بهم السيارة في شوارع مدينة "**أوكبريدج**" الهادئة ، ثم استمرت تسير مسافة ثمانمائة متر على طريق "**تليمون**" الرئيسي ، وبعدها دلفت إلى شبكة من الطرق الريفية الضيقة.

وقال الجنرال "**مكارثر**" :

– إن هذا المكان لجميل حقًا . التلال ، والأرض الحمراء ، وكل شيء في اخضرار وانتعاش .

وقال "**فيليب لومبارد**" منتقداً :

– ولكنه غامض نوعًا ما . إنني شخصيًا أفضل الأماكن المتفتحة حيث يمكنك أن تري ما يقترب منك ..

فقال له الجنرال "**مكارثر**" :

– أعتقد أنك رأيت جزءاً من العالم .

فهز "**لومبارد**" كتفيه بلا مبالاة وقال :

– لقد ذهبت إلى بعض الأماكن يا سيدي .

وقال لنفسه : «سيسألني الآن عما إذا كنت كبيراً في السن بحيث تمكنت من الاشتراك في الحرب أم لا ، هؤلاء الكبار دائمًا يلقون بهذا السؤال» .

ولكن الجنرال "**مكارثر**" لم يذكر شيئًا عن الحرب .

*****

ووصلوا إلى تل منحدر من ورائه طريق متعرج قادهم إلى مدينة "**سيكلهافن**" ، وهي عبارة عن مجموعة من الأكواخ وقارب للصيد وآخرين راسيين فوق الرمال.

ومن هناك ، وقعت أنظارهم لأول مرة على جزيرة "**نيجر**" التي كانت واضحة تحت أشعة الشمس .

وقالت "**فيرا**" بدهشة :

– إن الطريق لبعيد .

وخارج خان صغير يدعى خان "**النجوم السبعة**" كان يقف ثلاثة أشخاص . كانوا هم الثلاثة الذين سبقوهم في السيارة الأولى .

– ظننا أنه من الأفضل أن ننتظركم هنا لكي نرحل معًا .. اسمحوا لي أن أقدم نفسي .. اسمي "**دافيس**" .. من مواليد "**جنوب إفريقيا**" .

ثم ضحك بغلظة .

ونظر إليه القاضي بضيق .. كان يبدو وكأنه يتمنى أن يأمر بإخلاء قاعة المحكمة . أما الآنسة "**إميلي**" فلم تكن قد قطعت برأيها بعد فيما إذا كانت تحب رجال الجيش أم لا .

وتساءل السيد "**دافيس**" **بكرم** :

– هل يود أحدكم تناول قليل من الشراب قبل أن نشرع في الرحيل ؟

ولما لم يتقبل أحد منهم دعوته استثار ورفع إصبعه وهو يقول :

– لا داعي إذن للتأخر. فإن مضيفينا الكريمين في انتظارنا.

ولا بد أنه قد لاحظ ان ضيقًا غريبًا قد حلَّ على بقية الموجودين، وكان ذكر مضيفهم قد أحدث تأثيراً غريبا على الضيوف.

وتقدم رجل كان يستند إلى جدار قري.. استجابة لإشارة إصبع "**دافيس**" وكان منظره يوحي بأنه من رجال البحر. وقال لهم بلهجته المحلية:

– هل أنتم مستعدون للرحيل إلى الجزيرة سيداتي وسادتي ؟ إن القارب في انتظاركم . هناك سيدان سيحضران بسيارتيهما، ولكن أوامر السيد "**أوين**" تقضي بألا ننتظرهما؛ إذ إن موعد وصولهما ليس محدداً .

ونهض أفراد الجماعة من مجلسهم . وقادهم البحار إلى مرسى صخري صغير يقف إلى جواره قارب ذو محرك .

وقالت "**إميلي برنت**" :

– ولكن هذا القارب صغير جداً .

وقال البحار بإغراء :

– إلا أنه قارب رائع يا سيدتي. إنه ينقلك إلى "**بليموث**" في غمضة عين .

وقال السيد "**جستيس وارجريف**" بحدة :

– إن عددنا كبير بالنسبة إلى مثل هذا القارب .

– إنه يتسع لضعف عددكم يا سيدي .

وقال "**فيليب لومبارد**" بصوته المرح السلس :

– لا بأس به بالمرة .. الجو رائع، ونأمل ألا تهب أية ريح شديدة .

وسمحت الآنسة "**برنت**" له بمساعدتها على النزول إلى القارب والشك يملأ قلبها، وتبعها الآخرون في الحال .

وكانوا يوشكون أن ينطلقوا عندما توقف الملاح وهو ممسك بالمرساة في يده فقد أقبلت سيارة قوية ورائعة الجمال عبر الطريق المنحدر . وإلى عجلة القيادة كان يجلس شاب صغير وقد عبث الهواء بخصلات شعره . وفي ضوء الغسق بدا الشاب كأحد آلهة الشمال أكثر مما كان يبدو كرجل من بني البشر .

وضغط على بوق سيارته فرددت صخور الخليج صدى صوته .. كانت لحظة خيالية . وفي أثنائها بدا "**أنتوني مارستون**" أقرب إلى الموت منه إلى الحياة . ولقد تذكر كثير من أعضاء الرحلة هذه اللحظة فيما بعد .

❀❀❀❀❀

أخذ "**فريد ناركوت**" وهو يجلس إلى محرك القارب يحملق إلى هذه المجموعة الغريبة . لم يكن يتوقع البتة أن يكون ضيوف السيد "**أوين**" على هذه الشاكلة .. كان يتوقع أن يكونوا رجالاً ونساء أكثر تشابهاً ، حسني الهندام في ملابس بحرية، وذوي ثراء وأهمية .

إنهم لا يبدون بالمرة على شاكلة ضيوف السيد "**ألمر روبسون**" . وارتسمت على وجه "**فريد ناركوت**" ابتسامة غيظ وهو يتذكر ضيوف المليونير .. هؤلاء هم الضيوف وإلا فلا .. ياالجودة الشراب الذي كانوا يتناولونه !

ولكن يبدو أن السيد "**أوين**" من طراز مختلف من الناس . وفكر "**فريد**" في أنه من العجيب ألا تقع عليه عيناه حتى الآن . كلا .. لم يحضر بعد . كل شيء ينظم وتدفع تكاليفه عن طريق السيد "**توريس**" . ودائماً تكون التعليمات واضحة للغاية والدفع فورياً، وعلى الرغم من ذلك فإن الأمر يبدو غريباً . ولقد ذكرت الصحف أن هناك سراً في مسألة السيد "**أوين**" . وإنه ليوافقها على هذا الظن.

وربما تكون الآنسة "**جابريل تيرل**" هي التي اشترت الجزيرة .. ولكن هذه الفكرة تبخرت من رأسه وهو يتفحص الضيوف . ليسوا هؤلاء .. لايبدو على أحد منهم أن له صلة بنجمة سينمائية .

عانس عجوز من النوع العصبي . إنه يعرفهن جيداً .. ورجل عسكري كهل ذو مظهر عسكري قح . وسيدة لطيفة ولكنها من النوع العادي .. ليس هناك (بهرجة) في مظهرها وليس فيها لمسة واحدة من "**هوليوود**" . وهذا السيد المرح البدين .. لا يبدو عليه أنه سيد من الطبقة الراقية .. لابد أنه تاجر متقاعد .. أما السيد الآخر .. ذلك السيد النحيف ذو المظهر الجائع والنظرة السريعة فإنه شخص غريب . من المحتمل أن يكون على علاقة ما بالعالم السينمائي .

لم يكن هناك سيد يبعث على الطمأنينة سوى واحد فقط .. الراكب الأخير ، ذلك الذي وصل في سيارة "ويالها من سيارة لم ترَ مثلها مدينة "**سيكلهافن**" من قبل ! لابد أن ثمنها يبلغ المئات والمئات" .. إنه من الطراز الحقيقي .. ولد في

"ميسرة" . لو أن المجموعة كانت كلها على شاكلته !
لقد كانت العملية كلها غريبة .. غريبة جدًا .

✽✽✽✽✽

واستدار القارب حول الصخرة . وأخيرًا ظهر المنزل للأنظار .لقد كانت الناحية الجنوبية مختلفة تمامًا . كانت تنحدر بيسر إلى البحر، وكان المنزل يقف مواجهًا للجنوب، منخفضًا ومربعًا ومن طراز حديث ذي نوافذ عريضة تسمح بدخول أكبر كمية ممكنة من الضوء .

منزل مثير .. منزل يحمل كل أنواع الاحتمالات . وأوقف "**فريد ناركوت**" محرك القارب ، وتسلل القارب بخفة من خلال مرسى طبيعي وسط الصخور .

وقال "**فيليب لومبارد**" بحدة :

– لابد أنه من الصعوبة بمكان أن نصل إلى هنا خلال العاصفة .

فرد عليه "**فريد ناركوت**" بمرح :

– لا يمكن الوصول إلى جزيرة "**نيجر**" خلال العاصفة . وقد يدوم الحال على هذا لمدة أسبوع أو أكثر .

ووقف القارب إزاء الصخور .. وقفز "**فريد ناركوت**" إلى الشاطئ وأخذ هو و"**لومبارد**" يساعدان الآخرين على النزول . وبعد ذلك قادهم إلى بعض السلالم المنحوتة في الصخور .

وقال الجنرال "**مكارثر**" :

– ها .. يا لها من بقعة جميلة !

ولكنه لم يشعر بالارتياح ، يا له من مكان لعين !

وعندما انتهت المجموعة من ارتقاء السلالم ووصلوا إلى شرفة في أعلاها، انتعشت معنوياتهم . وفي مدخل باب المنزل كان ينتظرهم ساق أنيق طمأنهم منظره الجاد ، والمنزل نفسه كان جذابًا للغاية ، وكان المنظر من الشرفة رائعًا.

وتقدم الساقي إلى الأمام وهو ينحني انحناءة خفيفة .. كان رجلاً طويلاً هزيلاً ذا

شعر أشيب ومظهر محترم .. وقال لهم :

– هلا تفضلتم من هذا الطريق ؟ .

وفي الردهة الفسيحة كان الشراب معدًّا .. صفوف من الزجاجات . ارتفعت معنويات "**أنتوني مارستون**" قليلاً . كان يوشك أن يفكر في أن الذي يحدث إنما هو استعراض سخيف ليس من مقامه . ما الذي كان يفكر فيه "**بادجر**" الكهل عندما دعاه وسط هذه المجموعة . على كل حال كانت المشروبات على ما يرام .. ومعها كثير من الثلج .

*****

ما الذي يقوله الساقي ؟

إن السيد "**أوين**" للأسف لن يستطيع لقياهم حتى الغد نظرًا لتأخره في الوصول، وكانت التعليمات أن يقدم لهم أي شيء يطلبونه .. هل يريدون الذهاب إلى غرفهم ؟ سيكون العشاء معدًّا في الثامنة تمامًا .

وتبعت "**فيرا**" السيدة "**روجرز**" إلى أعلى . كانت المرأة قد فتحت باب غرفة في نهاية الممر فدخلت "**فيرا**" من خلاله غرفة نوم بديعة ذات نافذة عريضة تطل على البحر ونافذة أخرى ناحية الشرق، وأطلقت صيحة سرور سريعة ، بينما كانت السيدة "**روجرز**" تقول :

– آمل أن يكون هنا كل شيء تريدينه يا آنستي ؟

ونظرت "**فيرا**" حولها . كانت حقائبها قد وصلت وأفرغت محتوياتها . وفي أحد جوانب الغرفة كان هناك باب يؤدي إلى حمام أزرق اللون .

وقالت "**فيرا**" بسرعة :

– نعم ، كل شيء موجود على ما أعتقد .

– إذا احتجت إلى شيء يا آنستي فما عليك إلا أن تضغطي الجرس .

كان صوت السيدة "**روجرز**" يبعث على الملل ، ونظرت إليها "**فيرا**" تتفحصها ، يا لها من امرأة شاحبة كالأشباح ! امرأة ذات مظهر محترم للغاية وشعرها أسود

مشدود خلف رأسها وملابسها سوداء، وكانت عيناها ذواتي لون فاتح تتحركان في كل الاتجاهات .

وفكرت "فيرا" :«إنها تبدو خائفة حتى من شبحها هي» .

نعم ، كانت هذه هي الحقيقة .. خائفة .

كانت تبدو كامرأة تعيش في خوف أبدي .

وسرت رعدة خفيفة في ظهر "فيرا" . ما الذي كان يخيف المرأة بحق السماء؟

وقالت بمرح :

– إنني سكرتيرة السيدة "أوين" . أعتقد أنك تعلمين هذا .

– كلا يا آنسة .. إنني لا أعرف شيئًا . كل ما أعرفه هو قائمة بأسماء الضيوف وغرفهم .

– ألم تذكرني السيدة "أوين" ؟

وارتجفت رموش السيدة "روجرز" وهي تقول :

– إنني لم أر السيدة "أوين" حتى الآن . لقد حضرنا إلى هنا منذ يومين فقط .

« يا لآل "أوين" من قوم غرباء». هكذا فكرت "فيرا" .. ثم قالت بصوت مرتفع:

– من هم الذين يعملون في هذا المنزل ؟

– أنا وزوجي يا آنسة .

وقطبت "فيرا" . ثمانية أشخاص في المنزل بل عشرة إذا أضفنا إليهم مضيفتهم . كل هؤلاء يخدمهم اثنان فقط !

وقالت السيدة "روجرز" :

– إنني طاهية وزوجي كفء في إدارة المنزل. لم أكن أعرف بالتأكيد أنه سيكون هنا هذا العدد الكبير من الضيوف .

– ولكن هل تقدران على إدارة المنزل ؟

– بالتأكيد يا آنستي ، إذا حدث وكانت هناك حفلات كبيرة فلابد أن السيدة "أوين" ستستعين بخدم إضافيين .

– أعتقد هذا .

واستدارت السيدة "روجرز" لتنصرف. كانت قدماها تتحركان على الأرض دون

صوت وخرجت من الغرفة كشبح .

ومضت "**فيرا**" إلى النافذة وجلست إلى مقعد بجوارها ، كانت متوترة شيئًا ما. كل شيء يبدو غريبًا على نحو ما . غياب آل "**أوين**" ، السيدة "**روجرز**" الشاحبة التي كانت تبدو كالأشباح ، والضيوف .. نعم.. إن الضيوف هم الآخرون غرباء. إنهم مجموعة غريبة التكوين .

وفكرت في نفسها : « أتمنى لو كنت قد التقيت بآل "**أوين**" . أتمنى لو أعرف كيف يبدون » .

ثم نهضت وأخذت تدور في الحجرة ..

غرفة مثالية مزخرفة على أحدث طراز .. قطع السجاد الأبيض تغطي الأرض الباركيه اللامعة ، حوائط مدهونة بألوان قاتمة ، ومرآة طويلة تحيط بها الأضواء، ورف خال إلا من تمثال رخامي لدب، وقطعة من النحت الحديث تحتوي على ساعة، وفوقها رقعة مستديرة في إطار جميل تحتوي على قصيدة:

ذهب عشرة أطفال للعشاء .

وغص أحدهم ومات فلم يبق منهم سوى تسعة .

وسهر تسعة أطفال إلى وقت متأخر .

ونعس واحد منهم فلم يبق سوى ثمانية .

ثمانية أطفال يرحلون إلى "**ديفون**" .

وقال واحد منهم إنه سيبقى فلم يعد هناك سوى سبعة .

سبعة أطفال يشذبون العصي .

ومات واحد منهم فلم يبق سوى ستة .

ستة أطفال يلعبون في خلية نحل .

ولدغ زنبور واحداً منهم فلم يبق سوى خمسة .

وذهب خمسة أطفال إلى المحكمة .

وحجز واحد منهم في "صن تشانزي" فلم يبق سوى أربعة .

أربعة أطفال يمضون إلى البحر .

وابتلع حوت أحمر واحداً منهم فلم يبق سوى ثلاثة .

ثلاثة أطفال ذاهبون إلى حديقة الحيوان .
واغتال الدب الكبير أحدهم فلم يبق سوى اثنين .
طفلان يجلسان في الشمس .
وحرقت الشمس أحدهما فلم يبق سوى واحد .
طفل بقي وحيداً .
فشنق نفسه فلم يعد هناك أحد .
وابتسمت "**فيرا**" ، بالتأكيد .. إننا في جزيرة "**نيجر**" !!
وعادت تجلس إلى النافذة وتنظر إلى البحر .
ويا له من بحر عريض ! من هنا لا يمكن رؤية الشاطئ الآخر . لا شيء سوى مياه زرقاء تلمع تحت أشعة الغروب .
البحر .. هادئ للغاية اليوم .. في بعض الأحيان يكون قاسيًا..
البحر الذي جذبك إلى أعماقه . غرقت . وجدت غريقة .. في البحر .. غرقت.. غرقت .. غرقت ..
كلا . يجب ألا تتذكر . يجب ألا تفكر في الأمر .
لقد انتهى كل هذا ..

*****

وصل الدكتور "**أرمسترونج**" إلى جزيرة "**نيجر**" في اللحظة نفسها التي كانت الشمس فيها تختفي في البحر . وخلال الطريق كان قد تبادل الحديث مع البحار.. رجل إقليمي كان متحفزاً لمعرفة القليل عن هؤلاء الناس الذين يملكون جزيرة "**نيجر**" . ولكن ذلك البحار "**ناركوت**" كان يبدو جاهلاً بهم لدرجة مثيرة .. أو ربما لم يكن على استعداد للحديث .
وهكذا تكلم الدكتور "**أرمسترونج**" بدلاً من هذا عن الطقس والصيد .
كان متعبًا بعد قيادته السيارة لمسافة طويلة .. كانت حدقتاه تؤلمانه . إن القيادة تجاه الغرب تعني القيادة ضد اتجاه الشمس .

نعم ، كان متعبًا جدًا . البحر والهدوء التام .. هذا هو كل ما يحتاج إليه . إنه يود قطعًا الحصول على إجازة طويلة ، ولكنه لم يكن يستطيع الابتعاد عن مرضاه . إن الإنسان سرعان ما يطويه النسيان هذه الأيام . وفكر قائلاً لنفسه: «وعلى كل حال فعليّ هذا المساء ان أتخيل أنني لن أعود وأنني قد هجرت "**لندن**" وشارع "**هارلي**" وكل ما يتعلق به ».

إن هناك أشياء خيالية حول الجزر .. إن كلمة جزيرة نفسها تثير الخيال ، هناك تفقد الاتصال بالعالم . فالجزيرة عالم مستقل .عالم من المحتمل الا تعود منه .

وعاد يفكر قائلاً لنفسه : «إنني أترك خلفي حياتي العادية» .

وابتسم وأخذ يرسم لنفسه خططًا خيالية للمستقبل ، وكان لايزال يبتسم وهو يصعد الدرج الصخري .

ورأى في الشرفة سيداً كهلاً يجلس على مقعد ..كان شكل الرجل مألوفًا لدى الدكتور "**أرمسترونج**" . أين رأى وجه الضفدعة هذا، وهذه الرقبة الشبيهة برقبة السلحفاة، وهاتين العينين الشاحبتين. بالتأكيد.. إنه "**وارجريف**" الكهل. لقد أدى الشهادة أمامه يومًا ما . إنه غالبًا مايبدو نصف نائم ولكنه دائمًا ثاقب الفكر فيما يتصل بالقانون . كانت له سلطة كبيرة على المحلفين .. كان يقال إنه يستطيع ان يشكل افكارهم في أي يوم من أيام الأسبوع، وبعض الناس يسمونه قاضي الإعدام، ياله من مكان عجيب كي يلقاه المرء فيه ! هنا .. بعيداً عن العالم..

*****

وفكر السيد "**جستيس وارجريف**" في نفسه :« "**أرمسترونج**" ؟ أذكره في مقعد الشهود . إنه لدقيق حذر .. كل الأطباء مغفلون ملعونون ، وأطباء شارع "**هارلي**" أكثرهم لعنة» .

ثم صاح بصوت عالٍ :

— الشراب في الردهة .

فقال "**أرمسترونج**" :

– يجب أن أذهب لأحيي أصحاب المنزل .

فعاد السيد "**جستيس وارجريف**" إلى إغلاق عينيه وهو يقول :

– لن يمكنك أن تفعل هذا .

فبهت الدكتور "**أرمسترونج**" !

– ولم لا ؟ .

– ليس هنا مضيف ولا مضيفة . شيء غريب ، لا أستطيع أن أفهم كنه هذا المكان .

وبهت الدكتور "**أرمسترونج**" لحظة ، وعندما خيل إليه أن الرجل الكهل قد عاود نومه إذا بـ "**وارجريف**" يقول :

– هل تعرف "**كونستانس كليمنجتون**" ؟

– أ أ أ .. لا . إنني أخشى ألا أكون قد عرفتها من قبل .

ليس لهذا أية أهمية . امرأة غامضة للغاية . وخطها لا يمكن قراءته بالمرة . كنت أتساءل لتوي فيما إذا كنت قد أخطأت المنزل المقصود .

وهز الدكتور "**أرمسترونج**" رأسه ودخل المنزل .

وفكر السيد "**وارجريف**" في موضوع "**كونستانس كليمنجتون**" هذه . إنها سيدة لا يمكن الاعتماد عليها بالمرة ..

وفكر في المرأتين الأخريين الموجودتين في المنزل . العانس مطبقة الفم والفتاة الأخرى .. لم تكن الفتاة تعنيه . تلك الفتاة الخبيثة الباردة .. كلا ، إنهن ثلاث نساء .. إذا وضعنا السيدة "**روجرز**" في الاعتبار . إنها مخلوقة غريبة ، تبدو كأنها تكاد تموت من الخوف .

– هل تعرف ما إذا كان من المنتظر حضور السيدة "**كونستانس كليمنجتون**" ؟

فنظر إليه "**روجرز**" بدهشة قائلاً :

– لا يا سيدي فيما أعلم .

وارتفع حاجب القاضي وكاد يقول شيئًا ، لكنه غمغم فقط بصوت مبهم .

وفكر قائلاً :« جزيرة "**نيجر**" ! هه . هناك شخص في الدوامة » .

❁❁❁❁❁

كان "**أنتوني مارستون**" يأخذ حمامًا ممتعًا بالماء الساخن .. وكانت عضلات ذراعيه قد تصلبت من القيادة الطويلة ، ولم يتخلل رأسه سوى القليل من الأفكار.

لقد خلق "**أنتوني**" للعمل وللمتعة .

وفكر: « هل يجب عليّ أن أمضي في الأمر ؟ أعتقد هذا». وبعد ذلك أبعد كل الخواطر عن رأسه .

ماء دافئ وعضلات متعبة ، وبعد هذا يتناول مشروبًا وبعده يتناول العشاء .

وبعد ذلك .. !

*****

كان السيد "**بلور**" يفك رباط عنقه. لم يكن يجيد مثل هذا العمل، هل كان يبدو على ما يرام ؟ إنه يعتقد هذا .

لم يكن أحد منهم ودودًا معه .. كانت الطريقة التي أخذ كل منهم يرمق بها زميله مضحكة كما لو كانوا يعرفون ..

حسنًا .. لقد كان الأمر يرجع إليه . ولم يكن ينوي أن يبخس عمله . ورمق القصيدة الموضوعة فوق الرف . إنها للمسة رائعة أن توضع هذه القصيدة في هذا المكان . وفكر : «إنني أذكر جزيرة "**نيجر**" عندما كنت صبيًّا صغيراً . لم أفكر أبدًا أن أقوم بمثل هذا العمل في منزل هنا . ربما كان من الأفضل ألا يحاول الإنسان تخيل مستقبله».

*****

كان الجنرال "**مكارثر**" مقطب الوجه .

يا لهذا الأمر كله ، ليس فيه ما كان قد توقعه !

كان يجب عليه أن يعتذر ويلقي بالأمر كله جانبًا .

ولكن القارب ذا المحرك قد عاد إلى مرساه الأول .

ومن الواجب عليه أن يبقى ..

إن "**لومبارد**" ، ذلك الشخص الغريب ، ليس صريحًا . إنه ليقسم بأن الرجل ليس صريحًا !!

*****

ما إن دق الجرس حتى خرج "**فيليب لومبارد**" من غرفته وسار إلى أول الدرج، كان يسير كفهد بخفة وبلا صوت. كان فيه شيء من صفات الفهد . حيوان صيد..جميل ممتع للنظر .

كان يبتسم لنفسه: « أسبوع .. يجب أن أستمتع بهذا الأسبوع» .

ارتدت الآنسة "**إميلي برنت**" في غرفتها ثوبًا حريريًا أسود استعداداً لتناول العشاء ، ثم أخذت تحرك شفتيها وهي تقرأ من الإنجيل : «وسقط الكفرة في الحفرة التي حفروها ، وسقطت أقدامهم في الشبكة التي وضعوها ، إن الرب ليعرف من افعاله ، والشرير يعاقب من نفس أعماله ، وسيلقى الشرير في الجحيم» .

وأطبقت شفتيها بإحكام ، وأغلقت الإنجيل .

- 3 -

كانوا يوشكون أن ينتهوا من تناول عشائهم . كان الطعام جيداً والشراب رائعًا ، وقام "**روجرز**" بخدمتهم على خير وجه.. كانت معنوياتهم كلهم في حالة أحسن ، إذ بدأوا يتحدثون بعضهم إلى بعض في حرية وألفة زائدتين . وكان السيد "**جستيس وارجريف**" ، وقد أسعده الشراب الرائع، قد بدأ يتكلم بحديث ساخر بينما يستمع إليه الدكتور "**أرمسترونج**" و"**أنتوني مارستون**" ، والآنسة "**برنت**" تثرثر مع الجنرال "**مكارثر**" بعد أن اكتشفا وجود معارف مشتركة لكليهما، و"**فيرا كليثون**" توجه إلى السيد "**دافيس**" أسئلة ذكية بشأن "**جنوب إفريقيا**" ، وكان حديث السيد "**دافيس**" يدور حول هذا الموضوع دفاقًا ، فانصت

إليه "**لومبارد**" . وفجأة قال "**أنتوني مارستون**" :

– إن هذه الأشياء لظريفة ، أليس كذلك ؟

وفي منتصف المائدة كانت توجد بعض التماثيل الخزفية فوق قاعدة مستديرة من الزجاج وقال "**أنتوني**" :

– جزيرة "**نيجر**" . أعتقد أن هذا هو الرمز .

وانحنت "**فيرا**" إلى الأمام بينما قال "**أنتوني**" :

– إنني أتساءل عن عددهم .. أهو عشرة ؟

وصاحت "**فيرا**" :

– يا للطرافة ! إنهم الأطفال العشرة الصغار المذكورون في القصيدة . على ما أعتقد أن القصيدة موضوعة داخل إطار فوق رف في غرفتي .

فقال "**لومبارد**" :

وفي غرفتي واحدة أيضًا .

– وأنا كذلك .

– وأنا كذلك .

وردد كل واحد منهم الجملة فقالت "**فيرا**" :

– إنها فكرة مسلية ، أليس كذلك ؟

وتمتم السيد "**جستيس وارجريف**" : «حركة طفولية دون مراء» ثم تناول كأسًا، ونظرت "**إميلي برنت**" إلى "**فيرا كليثون**" ، ونظرت "**فيرا كليثون**" إلى "**إميلي برنت**" ونهضت الاثنتان من المائدة.

كانت النوافذ الكبيرة في غرفة الاستقبال مفتوحة ومطلة على شرفة بحيث يتناهى إلى الأسماع صوت تكسر أمواج البحر على الصخور .. وقالت "**إميلي برنت**" :

– صوت جميل .

فقالت "**فيرا**" بحدة :

– إنني أكرهه .

فنظرت إليها "**إميلي برنت**" برهة فاحمر وجه "**فيرا**" ثم قالت في

ثبات :

– لا أظن أن المكان سيكون مريحًا في أثناء العاصفة .

فوافقتها "**إميلي برنت**" على هذا قائلة :

– لا يخالجني أي شك في أن هذا المنزل يغلق في أثناء الشتاء . لا يمكن أن يعثر المرء على خدم يقبلون الإقامة فيه بأي مقابل .

وغمغمت "**فيرا**" قائلة :

– قد يكون من الصعب العثور على خدم على كل حال .

– إن السيدة "**أوليفر**" لمحظوظة إذ عثرت على هذين الطفلين. إن الطاهية ممتازة .

وفكرت "**فيرا**" : «من المضحك سماع الكبار وهم يخلطون بين الأسماء» . ثم قالت بصوت مرتفع :

– نعم ، أعتقد أن السيدة "**أوين**" محظوظة حقًّا .

وكانت "**إميلي برنت**" قد أخرجت من حقيبتها قطعة قماش للتطريز . وكانت توشك أن تضع خيطًا في إبرتها .

فتوقفت وقالت بحدة :

– "**أوين**" ؟ هل قلت "**أوين**" ؟

– نعم .

فقالت "**إميلي برنت**" بحدة :

– إنني لم أقابل طيلة حياتي من تدعى "**أوين**" .

فبهتت "**فيرا**" وقالت :

– ولكن بالتأكيد . .

ولم تكمل جملتها إذ فتح الباب وانضم إليهما الرجال ، وتبعهم "**روجرز**" إلى الغرفة وهو يحمل صينية عليها أقداح القهوة .

وجلس القاضي إلى جوار "**إميلي برنت**" بينما جلس "**أرمسترونج**" إلى جوار "**فيرا**" ، ومشى "**أنتوني**" بتؤدة إلى النافذة المفتوحة . وأخذ "**بلور**" يفحص باهتمام تمثالاً من النحاس ، ووقف الجنرال "**مكارثر**" موليًا ظهره إلى المدفأة وهو يشد طرفي شاربيه . لقد كان العشاء ممتازًا للغاية ، كانت روحه منتعشة ،

وأخذ "**لومبارد**" يتفحص مجلة "**بانش**" الموضوعة ضمن صحف أخرى على المائدة . وأخذ "روجرز" يطوف عليهم بصينية. كانت القهوة ممتازة .. بن كثيف وقهوة ساخنة جداً . وكان كل من في المجموعة قد تناول عشاءه جيداً وقد بدأوا يستمتعون بالحياة.. وكانت عقارب الساعة تشير إلى التاسعة والثلث .. وران الصمت .. صمت مروع. وخلال هذا الصمت جاءهم "الصوت".. وبدون إنذار تناهى إليهم صوت حاد غير إنساني يقول :

– سيداتي سادتي . الصمت من فضلكم .

وذهل كل منهم .. ونظر بعضهم إلى بعض .. ثم إلى الحائط .. من الذي يتكلم ؟

واستمر الصوت يتحدث في نبرات واضحة عالية .

– إنكم متهمون بما يلي :

"**إدوارد چورج أرمسترونج**" .. لقد تسببت في يوم 4 1 آذار(مارس) عام 1925 في موت "**لويزا ماري كليس**" .

"**إميلي كارولين برنت**" .. أنت مسؤولة عن مقتل "**بياتريس تايلور**" في يوم 5 تشرين الثاني (نوفمبر) عام 1931 .

"**ويليام هنري بلور**" .. لقد تسببت في مصرع "**جيمس ستيفن لاندور**" في يوم 10 تشرين الأول (أكتوبر) عام 1928 .

"**فيرا إليزابيث كليثون**" .. لقد قتلت "**سيريل أوجيلفيا هاملتون**" في يوم 11 آب (أغسطس) عام 1935 .

"**فيليب لومبارد**" .. أنت متهم بقتل واحد وعشرين شخصاً من قبيلة في شرق "**إفريقيا**" في أحد أيام شهر شباط (فبراير) عام 1932 .

"**جون جوردون مكارثر**" . إنك قتلت عمداً "**آرثر ريتشموند**" عشيق زوجتك في يوم 14 كانون الثاني (يناير) عام 1917 .

"**أنتوني جيمس مارستون**" . أنت متهم بقتل "**جون**" و"**لوسي كومبس**" في يوم 14 تشرين الثاني (نوفمبر) الماضي ..

"**توماس روجرز**" و"**أثيل روجرز**" .. لقد تسببتما في مقتل "**جنيفر برادي**" في

يوم 6 أيار (مايو) عام 1929 .

"**جستيس جون وارجريف**" .. أنت متهم بقتل "**إدوارد سيتون**" في يوم 10 حزيران (مايو) عام 1930 .

أيها المتهمون .. هل لديكم ما تدافعون به عن أنفسكم ؟

*****

وتوقف الصوت . وتلت ذلك لحظة من الصمت المشحون أعقبها صوت شيء يتحطم .. لقد أسقط "**روجرز**" صينية القهوة. وفي اللحظة نفسها، ومن مكان ما خارج الغرفة، تناهى إلى الأسماع صوت صرخة ومن ورائه صوت سقوط شخص على الأرض. وكان "**لومبارد**" هو أول من تحرك ، إذ قفز إلى الباب وفتحه على مصراعيه ، وخارج الباب كانت ترقد السيدة "**روجرز**" ملقاة على الأرض .

وصاح "**لومبارد**" :

– "**مارستون**" !

وقفز "**أنتوني**" ليساعده، وحملا المرأة فيما بينهما وأرقداها على أريكة في غرفة الاستقبال وأسرع الدكتور "**أرمسترونغ**" إليهما وانحنى على المرأة متفحصاً ، ثم قال بسرعة :

– لا شيء هناك .. ليس سوى إغماء ، ستثوب إلى رشدها خلال دقائق .

وطلب "**لومبارد** " من "**روجرز**" أن يحضر قليلاً من الشراب .

وقال له "**روجرز**" ويداه ترتجفان وقد شحب وجهه :

– حالاً يا سيدي ..

وصاحت "**فيرا**" :

– من الذي كان يتكلم ؟ .. أين كان ؟ لقد كان يبدو . لقد كان يبدو ..

وانفجر الجنرال "**مكارثر**" :

– ما الذي يجري هنا ؟ . أي نوع من الدعابات هذا ؟

كانت يداه ترتجفان وقد تهدل كتفاه .. وبدا كما لو كان قد كبر عشر سنوات .

وكان "**بلور**" يجفف وجهه بمنديله .

ولم يبد على أحد منهم عدم التأثر سوى القاضي و"**إميلي برنت**" . كانت "**إميلي برنت**" تجلس منتصبة ورأسها مرفوع إلى أعلى وعلى كل من وجنتيها بقعة حمراء .

وجلس القاضي في وضعه المعتاد وقد اختفى رأسه بين كتفيه ، وهو يعبث في إحدى أذنيه .

لم يكن نشيطًا فيه غير عينيه اللتين كانتا تتحركان في كل الاتجاهات بسرعة وبفطنة . ومرة ثانية بدأ "**لومبارد**" يتحرك. كان "**أرمسترونج**" مشغولاً بالمرأة المنهارة فأتاح ذلك لـ"**لومبارد**" أن يقوم بالمبادأة إذ قال :

– لقد بدا هذا الصوت كما لو أنه يجيء من الغرفة .

وصاحت "**فيرا**" :

– من هو ؟ من هو ؟ إنه لم يكن واحداً منا .

وأخذت عينا "**لومبارد**" تتحركان كعيني القاضي . واستقرتا دقيقة على النافذة المفتوحة ثم هز رأسه مؤكداً. وفجأة لمعت عيناه ، ومضى بخفة إلى باب بالقرب من المدفأة يؤدي إلى غرفة ملحقة . وفي حركة سريعة أدار مقبض الباب وفتحه على مصراعيه . ومضى إلى الغرفة الأخرى. . وفي الحال أطلق صيحة ارتياح وقال :

– آه ! وجدتها .

وتدافع الآخرون خلفه ، ولم يبق في مكانه سوى الآنسة "**برنت**" . وفي داخل الغرفة كانت توجد مائدة قد حركت إلى جوار الحائط المشترك مع غرفة الاستقبال، وعلى هذه المائدة وضع مكبر صوت من طراز عتيق ذو بوق ضخم. كانت فوهة البوق تواجه الحائط، ولما أزاحها "**لومبارد**" أشار إلى ثقبين أو ثلاثة محفورة في الحائط . وأعاد الفونغراف إلى وضعه ووضع الإبرة على الأسطوانة فسمعوا الصوت يقول من جديد :

– إنكم متهمون بما يلي :

وصاحت "**فيرا**" :

– أسكته . .أسكته . . إنه فظيع .

وأطاعها "**لومبارد**" .

وقال الدكتور "**أرمسترونج**" وهو يتنهد بارتياح :

– إنها دعابة سمجة قاسية على ما أعتقد .

وغمغم السيد "**جستيس وارجريف**" بصوته الخافت الواضح :

– إذن فأنت تعتقد أنها دعابة ؟

وحملق الطبيب إليه قائلاً :

– وأي شيء غير هذا يمكن أن يكون ؟

وربت القاضي فمه بيده وهو يقول :

– لست مستعداً للإدلاء برأيي في اللحظة الراهنة .

وانفجر "**أنتوني مارستون**" قائلاً :

– استمعوا إليّ . لقد نسينا شيئًا . من الشيطان الذي أدار هذا الجهاز ؟

فغمغم "**وارجريف**" :

– نعم ، أعتقد أنه يجب علينا أن نتقصى عن الفاعل .

وقادهم إلى غرفة الاستقبال .

كان "**روجرز**" قد حضر لتوه حاملاً زجاجة الشراب ، بينما انحنت الآنسة "**برنت**" على جسد السيدة "**روجرز**" التي كانت لا تكف عن الأنين .

وبمهارة تدخل "**روجرز**" بين المرأتين وهو يقول :

– اسمحي لي يا آنستي ، سأتحدث إليها أنا .

– "**أثيل**" .. "**أثيل**" كل شيء على ما يرام . أتسمعينني ، كل شيء على ما يرام . استجمعي شتات نفسك .

وتسارعت أنفاس السيدة "**روجرز**" .. وأخذت حدقتاها المذعورتان تدوران حول الوجوه المحملقة إليها . وبدا الارتياح في صوت "**روجرز**" وهو يقول :

– استجمعي شتات نفسك يا "**أثيل**" .

وتحدث إليها الدكتور "**أرمسترونج**" مهدئًا :

– ستكونين على ما يرام يا سيدة "**روجرز**" . إنها دعابة قذرة .

فقالت له :

– هل أغمى عليّ يا سيدي ؟

– إنه الصوت .. الصوت المخيف .

وعاد لون وجهها إلى الاصفرار وارتجفت أهدابها .

فقال الدكتور "أرمسترونج" :

– أين الشراب ؟

كان "روجرز" قد وضعه على مائدة مجاورة فناوله أحدهم للطبيب فانحنى به على المرأة اللاهثة وقال لها :

– اشربي يا سيدة "روجرز" .

وشربت وهي تشهق وتلهث .. وافادها الشراب .. وعاد إليها لون وجهها .. وقالت :

– إنني بخير الآن .. لقد أصابني الذعر .

وقال "روجرز" :

– بالتأكيد . لقد أصبت أنا أيضًا بذعر فاسقطت الصينية .

– هذا كذب ملعون .. كيف ؟ بودي لو أعرف .

وقوطع في كلامه .. قاطعته سعلة .. سعلة خشنة . أسكتته تمامًا وحملق إلى السيد "جستيس وارجريف" فعاد الأخير إلى السعال ثم قال :

– من الذي أدار مكبر الصوت .. هل فعلتها أنت يا "روجرز" ؟

فصاح "روجرز" :

– لم أكن أعرف كنه الأمر . أقسم بالله لم أكن أعرف ، لو كنت أعرفه لما كنت فعلت هذا بالمرة .

فقال القاضي بغلظة :

– من المحتمل أن تكون صادقًا ، ولكنني أعتقد انه من المستحسن أن تفسر الأمر يا "روجرز" .

وجفف الساقي وجهه بمنديله ثم قال بحرارة :

– لقد كنت أطيع الاوامر يا سيدي .. هذا هو كل ما هناك .

– أوامر من ؟

– أوامر السيد "**أوين**" .

– دعني أستوضح الأمر .. هل كانت أوامر السيد "**أوين**" أن ..؟

– أن أضع الأسطوانة في مكبر الصوت . لقد وجدت الأسطوانة في الدرج وكان على زوجتي أن تدير مكبر الصوت عندما أدخل إلى غرفة الاستقبال حاملاً صينية القهوة .

– قصة مثيرة جداً .

– إنها الحقيقة يا سيدي . أقسم بالله إنها الحقيقة . لم أكن أعرف شيئًا . لم يخطر ببالي قط أن يحدث ما حدث . كان عليها اسم .. اعتقدت أنها ليست سوى مقطوعة من الموسيقى .

ونظر "**وارجريف**" إلى "**لومبارد**" قائلاً :

– هل كانت تحمل عنوانًا ؟

فهز "**لومبارد**" رأسه بالإيجاب ثم ابتسم بغيظ كاشفًا عن أسنانه البارزة وقال:

– بالضبط يا سيدي .. إن اسمها أغنية البجعة .

*****

وانهار الجنرال "**مكارثر**" فجأة :

– إن الأمر كله ... محال .. أتُلقى التهم على الناس بهذا الشكل؟. يجب أن نفعل شيئًا ضد هذا الرجل "**أوين**" كائنًا من كان ..

وقاطعته "**إميلي برنت**" محتدة بقولها :

– هذا هو لب الموضوع .. من هو "**أوين**" ؟ .

وتدخل القاضي متحدثًا باهتمام كالاهتمام الذي تعوده في أثناء مزاولته لعمله في المحاكم :

– هذا هو بالضبط ما يجب علينا أن نبحثه بدقة . أقترح أن تأخذ زوجتك إلى فراشها أولاً يا "**روجرز**" .. وبعدها عد إلينا .

– حسن يا سيدي .

فقال الدكتور "**أرمستورنج**" :

– سأساعدك يا "**روجرز**" .

وغادرت السيدة "**روجرز**" الغرفة مستندة إلى ذراعي الرجلين .. وعندما خرجوا قال "**أنتوني مارستون**" :

– ليس لي علم بمزاجك يا سيدي ، ولكنني لا أستطيع المضي في هذا الأمر بدون شراب .

فقال "**لومبارد**" :

– وأنا كذلك .

فقال "**أنتوني**" :

– سأذهب وأعد الشراب .

وغادر الغرفة .

وعاد بعد دقيقة أو اثنتين .. وقال :

– لقد وجدتها كلها معدة على صينية استعداداً لإحضارها إلى هنا .

ووضع حمله الثمين بعناية . ومرت الدقائق التالية في توزيع الشراب ..

وأخذ الجنرال كأساً من العصير فقط وكذلك فعل القاضي . كان كل واحد من المجموعة يشعر بالحاجة إلى شيء منعش ، إلا "**إميلي برنت**" التي طلبت كوباً من الماء القراح .

وعاد "**أرمستورنج**" إلى الغرفة وقال :

– ستكون بخير ، لقد أعطيتها منوماً . ما هذا ؟ شراب ؟ أود تناول شيء منه .

وأعاد كثير من الرجال ملء كؤوسهم ، وبعد دقائق عاد "**روجرز**" إلى الغرفة .

وتصدر السيد "**جستيس وارجريف**" المناقشة .. وأصبحت الغرفة كقاعة محكمة .

وقال القاضي :

– والآن يا "**روجرز**" .. يجب أن نصل إلى جوهر الأمر . من السيد "**أوين**" هذا؟ .

وحملق "**روجرز**" ثم قال :

– إنه مالك هذا المكان ياسيدي .

– إنني مدرك لهذه الحقيقة .. إن ما أريد معرفته منك هو كل ما لديك من معلومات عن هذا الرجل ..

وهز "روجرز" رأسه وقال :

– لا يمكنني أن أخبرك بشيء يا سيدي .. إنه لم يسبق لي أن وقعت عيناي عليه.

وسرت حركة خافتة في الغرفة .

وقال الجنرال "مكارثر" :

– ألم يسبق لك رؤيته ؟ ماذا تعني بهذا ؟ .

– لم يمض عليّ أنا وزوجتي هنا أكثر من أسبوع يا سيدي . لقد استخدمنا عن طريق خطاب ، عن طريق وكالة تخديم.. وكالة "ريجينا" في "بليموث" .

وأومأ "بلور" مؤكداً وقال :

– وكالة قديمة العهد .

وقال "وارجريف" :

– هل لديك هذا الخطاب ؟ .

– تعني خطاب تشغيلنا ؟ .. لا يا سيدي .. لم أحتفظ به .

– امض في قصتك . لقد استُخدمت كما تقول بواسطة خطاب .

– نعم يا سيدي . كان علينا أن نصل إلى هنا في يوم معين .. فوصلنا ، وكان كل شيء منظماً. كميات كبيرة من الطعام في المخزن وكل شيء على خير ما يرام . لم يكن المنزل محتاجاً إلا إلى إزالة أتربته .

– ثم ماذا ؟

– لا شيء يا سيدي . لقد تلقينا الأمر بالخطابات كي نعد المنزل من أجل حفل عائلي .. وفي بريد الأمس تلقينا خطاباً من السيد "أوين" . وجاء في الخطاب أنه وزوجته قد تعطلا وسيفعلان كل ما بوسعهما للحضور .. كما أعطانا بعض التعليمات بخصوص الطعام والقهوة وتشغيل أسطوانة الفونغراف .

وقال القاضي بحدة :

– بالتأكيد لا يزال لديك هذا الخطاب .

– نعم يا سيدي. إنه معي الآن .

وأخرج خطاباً من جيبه فأخذه القاضي منه وهمهم قائلاً :

– مكتوب على أوراق فندق "**ريتز**" ، وعلى الآلة الكاتبة .

وبحركة سريعة كان "**بلور**" قد أصبح إلى جواره ، وقال :

– لو سمحت لي بإلقاء نظرة على الخطاب .

وأخذه من يده وجرى بنظره عليه ثم قال :

– آلة كاتبة من طراز "كورنيش" .. جديدة تماماً ليس بها أي عيب .. ورق خاص بالفندق .. من أكثر الأنواع استعمالاً . لن نستطيع الوصول إلى أي شيء من الخطاب . وربما يمكن الحصول على بصمات الأصابع وإن كنت أشك في هذا .

وحملق "**وارجريف**" إليه باهتمام مفاجئ .

وكان "**أنتوني مارستون**" واقفاً إلى جوار "**بلور**" ينظر من فوق كتفه ثم قال :

– في الخطاب أسماء كاملة وهمية، أليس كذلك ؟ "**أوليك نورمان أوين**" ، اسم ضخم تماماً .

وقال القاضي الكهل بلا حماس :

– إنني شاكر لك يا سيد "**مارستون**" فقد لفت نظري إلى نقطة غريبة ومليئة بالاحتمالات .

ونظر إلى الآخرين وهو يبرز رقبته كسلحفاة غاضبة وقال :

– أعتقد أن الوقت قد حان كي يدلي كل منا بما لديه من معلومات ، من المستحسن على ما أعتقد أن يقول كل منا كل ما يعرفه عن صاحب المنزل .

وتوقف قليلاً ثم واصل حديثه قائلاً :

– كلنا ضيوف . أعتقد أنه سيكون من المفيد أن يقول كل واحد منا كيف أصبح في هذا الوضع بالضبط .

وران الصمت لحظة ثم تكلمت "**إميلي برنت**" قائلة :

– هناك شيء ملحوظ في الأمر كله . لقد تلقيت خطاباً من الصعب قراءة توقيع صاحبه، وعرفت أنه من سيدة قابلتها في مصيف معين منذ سنتين أو ثلاث مضت.

وانتهيت إلى أن الاسم: إما أن يكون "**أوليفر**" أو "**أدجون**" . إنني أعرف سيدة باسم السيدة "**أوليفر**" وأخرى تدعى الآنسة "**أدجون**" . وإنني لواثقة تمامًا بأنه لم يسبق لي أن التقيت بصاحبته .

وقال القاضي :

– هل معك هذا الخطاب يا آنسة "**برنت**" ؟

– نعم وسأحضره لك .

وغادرت الغرفة لتعود بعد دقيقة ومعها الخطاب . وقرأه القاضي ثم قال :

– لقد بدأت أفهم .. وأنت يا آنسة "**كليثون**" .

وشرحت له "**فيرا**" ظروف استخدامها كسكرتيرة .

فقال القاضي :

– وأنت يا "**مارستون**" ؟

– لقد تلقيت برقية من صديق لي يدعى "**بادجر بيركلي**" . ولقد دهشت وقتها؛ لأني كنت أعتقد أنه قد ذهب إلى "**النرويج**" . طلب مني أن أحضر إلى هنا .

وهز القاضي رأسه قائلاً :

– وأنت يا "**أرمسترونج**" .

– لقد استدعيت إلى هنا كطبيب .

– هكذا . أي أنك لم تكن على معرفة سابقة بالعائلة ؟

– كلا . لقد ذكر اسم صديق لي في الخطاب .

– للتمويه .. وهذا الصديق ألا يمكن الاتصال به ؟

– حسن .. بلى .

فقال "**لومبارد**" الذي كان يحملق إلي "**بلور**" فجأة :

– انظروا .. لقد خطرت لي فكرة حالاً ..

فرفع القاضي يده وقال :

– انتظر دقيقة ..

– ولكنني ..

– سنتناول الأمور بالترتيب يا سيد "**لومبارد**" .. إننا حاليًا نبحث في الأسباب التي أدت إلى تجمعنا هنا هذه الليلة .. وأنت يا جنرال "**مكارثر**" .

وقال "**الجنرال**" وهو يعبث في شاربيه :

– لقد تلقيت خطابًا .. من ذلك الرجل الذي يدعى "**أوين**" .. ذاكرًا بعض أصدقائي القدامى الذين سيكونون هنا .. طالبًا الصفح لعدم إرسال دعوة رسمية . وأخشى ألا أكون قد احتفظت بالخطاب .

– السيد "**لومبارد**" ..

كان عقل "**لومبارد**" نشيطًا ، هل يعترف لهم بالحقيقة أم لا ؟ واستقر رأيه على أمر وقال :

– الشيء نفسه، دعوة والحديث عن أصدقاء قدامى ، وشعرت بأن الأمر ليس به ما يزيد، ولقد مزقت الخطاب .

واستدار السيد "**وارجريف**" إلى "**بلور**" واضعًا إصبعه على شفته وبدا صوته مؤدبًا للغاية وهو يقول :

– لقد مررنا للتو بتجربة مؤلمة نوعًا ما . فلقد تكلم صوت مجهول لكل منا بالاسم ساردًا اتهاما محددًا لكل منا وسنناقش هذه الاتهامات حالاً . ولكن في هذه اللحظة توجد نقطة فرعية محيرة .. فضمن الأسماء التي نوديت كان اسم "**ويليام هنري بلور**" ولكن بقدر علمنا ليس بيننا من يدعى "**بلور**" . أما اسم "**دافيس**" فلم يجئ ذكره .. ما قولك في هذا يا سيد "**دافيس**" ؟

وقال "**بلور**" بعبوس :

– أعتقد أنه من المستحسن أن أعترف بأن اسمي ليس بـ "**دافيس**" .

– أي أنك "**ويليام هنري بلور**" ؟

– هذا حسن .

وقال "**لومبارد**" :

– وسأضيف شيئًا .. إنك لم تحضر إلى هنا تحت اسم مزيف فقط ياسيد "**بلور**" ، ولكنني بالإضافة إلى هذا قد لاحظت هذا المساء أنك كذاب من الطراز الأول . لقد ادعيت أنك حضرت من "**ناتال**" بـ"**جنوب إفريقيا**" . إنني اعرف "**ناتال**"

وجنوب "**إفريقيا**" وأنا على استعداد لأن أقسم بانك لم تضع قدميك في "**جنوب إفريقيا**" طيلة حياتك .

واتجهت كل الأعين إلى "**بلور**" .. عيون غاضبة ملؤها الشك . وخطا "**أنتوني مارستون**" إلى جواره .. وتقلصت قبضتاه وقال :

– والآن أيها المحتال هل لديك أي تفسير ؟

وقال "**بلور**" :

– لقد أخطأتم في حقي أيها السادة .. لدي أوراق تثبت شخصيتي ويمكنكم رؤيتها. إنني مخبر سابق وأدير الآن وكالة خاصة في "**بليموث**" . لقد أحضرت إلى هنا من أجل هذا العمل ..

فسأله القاضي :

– من أحضرك ؟

– ذلك الرجل "**أوين**" . وقد حوى خطابه مبلغًا محترمًا من المال من أجل الأتعاب وتنفيذ ما يريد . كان عليّ أن أنضم إلى الحفل بصفتي أحد المدعوين. وقد أعطيت لي أسماؤكم كلها .. كان عليّ أن أراقبكم .

– وهل من سبب لهذا ؟

– من أجل جواهر السيدة "**أوين**" . ولا أعتقد أن هناك من تحمل هذا الاسم.

ومرة أخرى عاد القاضي يربت بإصبعه شفتيه مفكرًا .

– إن حدسك صائب على ما أعتقد .. "**أوليك نورمان أوين**" .. في الخطاب إلى الآنسة "**برنت**" ، وعلى الرغم من أن الاسم الأخير ليس واضحًا إلا أن الاسمين الأولين واضحان .

"**إدنانس**" . وفي كلتا الحالتين يمكنكم أن تلحظوا أن الحروف الأولى واحدة . "**أوليك نورمان أوين**" ، و"**إدنانس أوين**" .. في كل مرة هناك "**أ. ن. أوين**" وبتحريف ملحوظ ينتهي الاسم إلى المجهول ..

وصاحت "**فيرا**" :

– ولكن هذا أمر خيالي .. جنون ..

وأومأ القاضي برأسه بهدوء وقال :

– بالتأكيد . ليس لدي أي شك في أن الذي دعانا إلى هذا المكان رجل مجنون ومن المحتمل أن يكون مجنونًا خطيراً .

- 4 -

وساد الصمت لحظة . صمت الغضب والحيرة ، وبعدها عاد صوت القاضي الواضح يقول :

– سنمضي الآن إلى المرحلة التالية من التقصي . وعلى كل حال سأضيف أولاً أقوالي بخصوص المرحلة السابقة .

وأخرج من جيبه خطاباً ألقى به على المائدة .

– إنه خطاب من إحدى صديقاتي القديمات . السيدة "**كونستانس كليمنجتون**" . . إنني لم أرها منذ سنوات خلت . لقد رحلت إلى الشرق . والخطاب الغامض هو بالضبط ما يمكن أن تكتبه لتستحثني فيه على أن ألقاها هنا ونتكلم عن مضيفنا بأكثر الطرق غموضًا ، وهو التكتيك نفسه . كما يمكننا أن نستنتج من كل هذا نقطة مهمة . فإن ذلك الذي دعانا للحضور إلى هنا قد كلف نفسه مشقة معرفة الكثير عنا . . إنه يعرف صداقتي بالسيدة "**كونستانس**" وعلى دراية بأسلوبها المميز . إنه يعرف شيئًا عن أصدقاء الدكتور "**أرمسترونج**" وعن أماكنهم الحالية . وهو يعرف اسم الشهرة لصديق السيد "**مارستون**" ونوع البرقيات التي يرسلها . وهو يعرف بالضبط أين كانت الآنسة "**برنت**" منذ سنتين مضتا ونوع الناس الذين التقت بهم ، وهو يعرف كل أصدقاء الجنرال "**مكارثر**" القدامى .

وتوقف قليلاً عن الكلام ثم قال :

– إنه يعرف كما ترون الكثير جدًا . ومن خلال معلوماته عنا كون اتهامات محددة .

وفي الحال تعالت غمغمات .

وصاح الجنرال "**مكارثر**" :

– مجموعة من الأكاذيب اللعينة .

وصاحت "**فيرا**" :

– إن هذا الجور .. يا للشقي !

وقال "روجرز" بغلظة :

– كذب ، كذب ملعون. إننا لم نقدم على شيء من ذلك ولا أي واحد منا تحدثه نفسه بذلك .

وقال "أنتوني مارستون" :

– لا أدري ما الذي يرمي إليه ذلك المغفل اللعين .

وأسكت القاضي الجميع بيده المرفوعة ، وقال وهو ينتقي كلماته بعناية :

– إنني أرغب في أن أقول ما يلي :

إن صديقنا المجهول يتهمني بقتل "إدوارد سيتون" .. إنني لأتذكر "سيتون" تمامًا . لقد حوكم أمامي في شهر حزيران (يونيو) عام 1930 . كان متهمًا بقتل سيدة عجوز وقد دوفع عنه بكفاءة وحاز الدفاع عنه تأثيراً حسنًا لدى المحلفين . وعلى الرغم من ذلك فلقد كانت الشواهد تدينه، ولخصت القضية تبعًا للشواهد فأدانه المحلفون . وعندما أصدرت حكمي بإعدامه كنت متفقًا في هذا مع المحلفين . وقدم طلبًا بإلغاء الحكم بدعوى التوجيه السيئ، ولكنه رفض وأعدم المتهم بعدها ، وأود أن أقول لكم إن ضميري مستريح فيما يخص هذه القضية . لقد أديت واجبي ولا شيء أكثر .. لقد أصدرت حكمًا على مجرم ثبتت إدانته .

وبدأ "أرمسترونج" يتذكر قضية "سيتون" .. لقد كانت الإدانة مفاجأة كبيرة . ولقد التقى بـ "ماثيوز" يومًا ما في أثناء تناول الغداء فقال له هذا :

"إنني واثق بالحكم. إن الإفراج مؤكد تمامًا" . وبعد سماع الحكم سمع تعليقات كثيرة: لقد كان القاضي ضده على طول الخط وأدار رؤوس المحلفين فأدانوه . وعلى الرغم من هذا فالحكم قانوني . إن "وارجريف" العجوز لخبير بالقانون . كان واضحًا تمامًا أن هناك مسألة شخصية بينهما .

واندفعت كل هذه الذكريات إلى رأس الطبيب . وقبل أن يزن حكمة قوله اندفع متسائلاً:

– هل كنت تعرف "سيتون" بالمرة ؟ أعني قبل القضية .

والتقت عيناه بعيني القاضي . الذي قال له بصوت بارد واضح :

– لم أكن أعرف شيئًا عن "**سيتون**" قبل أن أحاكمه .

وقال "**أرمسترونج**" لنفسه : « إن الرجل يكذب .. إنني أعرف أنه يكذب » .

*****

وتكلمت "**فيرا كليثون**" بصوت مرتجف قائلة :

– أود أن أخبركم بالحقيقة عن ذلك الطفل "**سيريل هاملتون**" . لقد كنت مربيته، كان غير مسموح له بالسباحة بعيداً عن الشاطئ ، وذات يوم كنت شاردة اللب أسبح بعيداً . وسبحت خلفه ، ولكنني لم أتمكن من الوصول إليه في الوقت المناسب . لقد كان الأمر فظيعًا ولكنها لم تكن غلطتي . لقد برأتني المحكمة .. وأمه .. لقد كانت غاية في الطيبة . وإذا كانت هي .. هي نفسها لم تلمني ، فلِمَ يقال هذا الكلام المزعج ؟ ! هذا ليس عدلاً ، ليس عدلاً .

ثم انهارت وهي تبكي بمرارة .

وربت الچنرال "**مكارثر**" كتفها وقال :

– كفي ، كفي يا عزيزتي . بالتأكيد ليس هذا عدلاً . إن هذا الرجل لمجنون . مجنون .

ووقف منتصبًا وقد فرد كتفيه وقال :

– من الأحسن ألا نفكر في هذا الموضوع، وعلى أي حال فإنني أشعر بأنه يجب أن أقول إن كل ما قيل عن الشاب "**آرثر ريتشموند**" ليس بحقيقي .. ليس بحقيقي . لقد كان "**ريتشموند**" أحد ضباط فرقتي . لقد أرسلته في مهمة ولكنه قتل فيها . حادث طبيعي وقت الحرب . إنني لغاضب على كل ما قيل عن زوجتي . أشرف الزوجات في هذا العالم .

وجلس الجنرال "**مكارثر**" وعادت يده المرتجفة تعبث بشاربيه . لقد كلفه الكلام جهداً كبيراً .

وتكلم "**لومبارد**" :

– أما عن هؤلاء الوطنيين ..

فقال "**مارستون**" :

– ماذا عنهم ؟

– ما سأرويه هو عين الحقيقة . لقد تركتهم . كان ذلك بدافع الرغبة في الحياة .. كنا قد ضللنا طريقنا في الغابة وأخذت أنا كل ما تبقى من طعام وهربت .

فقال الجنرال "**مكارثر**" بصرامة :

– أي أنك هجرت رجالك .. تركتهم يموتون جوعًا .

– ليس هذا بالضبط .. إن حب البقاء هو غريزة الإنسان الأولى .

ورفعت "**فيرا**" رأسها من بين يديها وقالت وهي تحدق إليه :

– لقد تركت هؤلاء الأطفال يموتون .

– أجل لقد تركتهم يموتون ..

وقال "**أنتوني مارستون**" في صوت بطيء متعثر :

– لقد كنت افكر لتوي في "**جون**" و"**لوسي كومبس**" . ربما كانا طفلين صدمتهما بسيارتي في "**كمبريدج**" . حظ سيئ للغاية .

فقال السيد "**جستيس وارجريف**" متسائلاً :

– حظهما أم حظك أنت ؟

– حسنًا ، لقد كنت أفكر .. حظي أنا .. ولكن بالتأكيد .. إنك على صواب ياسيدي . لقد كان حظي سيئًا ملعونًا . فهذا ليس سوى حادث بالتأكيد . لقد اندفعا من كوخ ما . وسحبت مني الرخصة مدة سنة .

وقال الدكتور "**أرمسترونج**" محذرًا :

– إن هذه السرعة الكبيرة شيء خاطئ .. خاطئ .. إن الشبان من أمثالك لخطرون على المجتمع .

وهز "**أنتوني**" كتفيه وقال :

– إن الطرق الإنجليزية في حالة ميئوس منها للغاية .. لا يمكن أن يقود المرء فيها بسرعة مناسبة .

ونظر حوله بحثًا عن كأسه . والتقطها من فوق المائدة ومضى إلى إحدى الموائد الجانبية حيث ملأها بالشراب والصودا . وقال موليًا ظهره نحوهم :

– حسنًا .. إنها لم تكن غلطتي على كل حال .. لم يكن سوى حادث .

كان "**روجرز**" طيلة الوقت يعض شفتيه ويفرك راحتيه .. ثم قال بصوت خافت:

– إذا سمحتم لي بأن أقول كلمة واحدة .

فقال "**لومبارد**" :

– هيا تكلم يا "**روجرز**" .

– لقد جاء ذكري أنا وزوجتي يا سيدي . وذكر الآنسة "**برادي**" . لم يكن في هذا القول أي شيء من الصدق . لقد بقيت أنا وزوجتي مع الآنسة "**برادي**" حتى توفيت .. كانت معتلة الصحة دائمًا ، منذ اللحظة التي التحقنا فيها بخدمتها . وفي تلك الليلة هبت عاصفة .. وفي تلك الليلة أيضًا ساءت صحتها . وكان التليفون معطلاً . ولم نستطع أن نستدعي لها طبيبًا . وذهبت إليه سيرًا على قدميّ. ولكنه وصل إلينا متأخرًا . وقد فعلنا كل ما في استطاعتنا . لقد كنا مخلصين لها يا سادة . إن أي إنسان سيخبرك بهذا. لم توجه إلينا أية كلمة لوم .. ولا كلمة واحدة .

ونظر "**لومبارد**" مفكرًا إلى وجه الرجل الشاحب، وإلى شفتيه المتقلصتين، وإلى الذعر في عينيه، وتذكر سقوط صينية القهوة .

وتكلم "**بلور**" .. تكلم بطريقته الرسمية المشاكسة قائلاً :

– هل ورثت شيئًا عقب وفاتها ؟

وقال "**روجرز**" بحدة :

لقد تركت لنا الآنسة "**برادي**" وصية عرفانًا منها بخدماتنا إياها ..

وقال "**لومبارد**" :

– ماذا عنك أنت يا سيد "**بلور**" ؟

– ماذا عني ؟

– لقد تضمنت القائمة اسمك .

واحمر وجه "**بلور**" وقال :

– أتعني "**لاندور**" .. لقد كانت تلك هي حادثة سرقة البنك .. بنك "**لندن**" التجاري .

ونشط السيد "**وارجريف**" وقال :

– لقد تذكرت . إنها لم تُعرض أمامي ولكنني أذكر القضية .. لقد حكم على "**لاندور**" بناء على شهادتك ، وقد كنت أنت ضابط الشرطة المسؤول عن الحادثة .

– نعم ، لقد كنت أنا المسؤول .

– وحكم على "**لاندور**" بالسجن مدى الحياة ، ثم مات في سجن "**وارتمور**" بعد سنة من الحكم عليه .. كان رجلاً رقيقًا .

– كان محتالاً . لقد كان هو الذي ضرب خفير البنك .. كانت التهمة ثابتة عليه .

فقال "**وارجريف**" ببطء :

– لقد نلت ثناء على ما أظن لمعالجتك الماهرة للحادثة .

فقال "**بلور**" بصرامة :

– لقد نلت ترقية بسببها .

ثم أضاف بصوت حاد :

– لقد كنت أؤدي واجبي .

وضحك "**لومبارد**" ضحكة مفاجئة رنانة وقال :

– يالنا من قوم محبين لأعمالهم وللقانون أيضًا ، باستثنائي أنا ! وماذا عنك يا دكتور .. وعن خطئك الطبي التافه ؟ هل كانت عملية غير قانونية ؟

ونظرت إليه "**إميلي برنت**" – في بغض عميق – وابتعدت عنه قليلاً .

وهز الدكتور "**أرمسترونج**" رأسه بمرح وهو متمالك لنفسه تمامًا ثم قال :

– إنك متحير في استجلاء حقيقة الأمر . إن الاسم لم يشر إليّ بأي شيء عند سماعه . ماذا كان .. "**كليس**" ؟ "**كلوس**" .. إنني في الحقيقة لا أستطيع أن أتذكر أي مريضٍ بهذا الاسم أو أنه كانت لي صلة بأي موت على كل حال .. إن الأمر غامض تمامًا بالنسبة إلي . بالتأكيد قد مضى وقت طويل .. وقت طويل .. ربما كانت عملية أجريتها في المستشفى .. إن الكثير من هؤلاء الناس يذهبون إلى المستشفى بعد فوات الأوان . وعندئذ ، إذا مات مريض فإنهم غالبًا ما يعتبرون ذلك

غلطة الجراح .

وتنهد وهو يهز رأسه، وفكر في نفسه: « ثمل .. تلك هي حقيقة الأمر .. لقد كنت ثملاً .. وعلى الرغم من ذلك فقد أجريت العملية وكل أعصابي كانت متوترة .. ويداي ترتجفان وقتلتها تمامًا . ياللشيطانة المسكينة ! السيدة العجوز .. كانت العملية سهلة لو كنت واعيًا ، من حسن حظي أن الإخلاص شعار مهنتنا . كانت الحكيمة تعلم بحقيقة الأمر ، ولكنها أمسكت بلسانها . يا الله ، لقد أصيبت بصدمة ، ولكن من ذا الذي يعرف حقيقة الأمر بعد انقضاء كل هذه السنين ؟! »

✽✽✽✽✽

وران الصمت على الغرفة . كان كل منهم ينظر إما مباشرة أو بتلصص إلى "**إميلي برنت**" . ومضت دقيقة أو اثنتان قبل أن تتنبه إلى تطلعهم . واهتزت أهدابها ، ثم قالت :

– هل تنتظرون أن أقول لكم شيئًا ما ؟ ليس لدي ما أقوله .

فقال القاضي :

– لا شيء يا آنسة "**برنت**" ؟

– لا شيء .

وأطبقت شفتيها بشدة .

وهز القاضي رأسه ثم قال بهدوء :

– أتحتفظين بدفاعك ؟

فقالت الآنسة "**برنت**" بتردد :

– ليس في الأمر أي دفاع . لقد تصرفت دائمًا بوحي مما يمليه عليّ ضميري. وليس لدي ما يقض مضجعي .

وامتلأ الجو بالشعور بعدم الارتياح . ولكن "**إميلي برنت**" لم تكن ممن يتأثرون بالرأي العام ، وجلست دون استسلام . وتنحنح القاضي مرة أو اثنتين ثم قال :

– إن بحثنا ينتهي هنا . والآن يا "روجرز" ، من عدانا يوجد على هذه الجزيرة ؟

– لا أحد يا سيدي ، لا أحد على الإطلاق .

– أواثق أنت بذلك ؟

– واثق تمامًا يا سيدي .

– أما أنا فلست بواثق بعد بغرض مضيفنا المجهول من جمعنا هنا . ولكن في رأيي أن هذا الشخص كائنًا من كان ليس عاقلاً بالمعنى المعروف للكلمة . قد يكون خطيراً . ومن المستحسن في رأيي أن نغادر هذا المكان بأسرع ما يمكن. إنني أقترح أن نغادره هذه الليلة .

وقال "روجرز" :

– معذرة يا سيدي ، ولكن ليس هناك أي قارب في الجزيرة .

– ولا قارب ؟

– نعم يا سيدي .

– وكيف تتصل بالعالم ؟

– إن "فريد ناركوت" يحضر إلى هنا كل صباح يا سيدي . إنه يحضر الخبز والحليب (اللبن) والبريد ويتلقى الأوامر .

– إذن ، فمن المستحسن في رأيي أن نغادر كلنا المكان غداً حالمًا يصل قارب "فريد ناركوت" .

وتعالت أصوات الجميع بالموافقة ما عدا "أنتوني مارستون" الذي قال :

– إن هذه روح غير رياضية بالمرة . يجب أن نحل اللغز قبل ذهابنا .. إن الأمر كله يشبه قصة بوليسية .. مثيرة للغاية .

وقال القاضي بتهكم :

– في سني هذا ليس لدي أي ميل للإثارة كما تسميها .

ونظر إليه "أنتوني" خلسة ثم رفع كأسه وشربه في جرعة واحدة وربما كان قد شربه بسرعة إذ شرق بالشراب بدرجة سيئة . وتغير لون وجهه فاحمر بشدة .. وشهق متنفساً .. ثم انزلق من فوق مقعده وقد سقط الكأس من يده .

❀❀❀❀❀

- 5 -

وكان الحادث مفاجئًا وغير متوقع إلى الدرجة التي جعلتهم يحبسون أنفاسهم جميعًا . وظلوا ينظرون إلى الجسد المتكوم بغباء .

ثم قام الدكتور "**أرمسترونج**" وذهب إليه وجثا إلى جواره .. وعندما رفع رأسه من فوق الجسد المسجى كانت عيناه حائرتين، وقال في همسات خافتة حيرى:

– يا إلهي ! لقد مات !

ولم يتقبلوا الأمر للوهلة الأولى .

مات ؟ مات ؟ إله الشمال في عنفوان صحته وفتوته .. يسقط ميتًا مرة واحدة ! إن الشبان الأصحاء لا يموتون هكذا بغصة من تناول الشراب بالصودا ... كلا .. لا يمكنهم أن يتقبلوا هذا الأمر .

وكان الدكتور "**أرمسترونج**" يفحص وجه الميت ثم تشمم شفتيه الزرقاوين الملتويتين ثم التقط الكأس التي كان يشرب منها "**أنتوني مارستون**" . وقال الجنرال "**مكارثر**" :

– مات ؟ أتعني أنه قد شرق .. فمات ؟

فقال الطبيب :

– يمكنك أن تسميها غصة إذا أحببت .. لقد توفي بـ "**إسفكسيا**" الغرق .

كان يتشمم الكأس ثم غرس أصبعه في محتوياته . ثم لمس إصبعه بحذر بطرف لسانه .. وعلى الفور تغير تعبير وجهه . وقال الجنرال "**مكارثر**" :

– لم أعرف من قبل أن الإنسان يمكن أن يموت من نوبة شرق .

وقالت "**إميلي برنت**" بنبرة واضحة :

– في منتصف حياتنا نموت ..

ووقف الدكتور "**أرمسترونج**" ، ثم قال بفظاظة :

– كلا ، إن الإنسان لا يموت من نوبة شرق . إن وفاة "**مارستون**" لا يمكن أن نسميها وفاة طبيعية .

وقالت "**فيرا**" بفحيح أشبه بفحيح الأفعى :

– هل كان هناك شيء .. في الشراب ؟

وأومأ "**أرمسترونج**" برأسه ، وقال :

– نعم . لا يمكنني التحديد . ولكن كل نقطة فيه تشير إلى أحد مركبات " **السيانيد**" . ليس هناك رائحة مميزة لحامض "**البروسيك**" ، ربما كان " **سيانيد البوتاسيوم**" ، إنه يحدث تأثيراً مباشراً .

وقال القاضي بحدة :

– هل كان السم في كأسه ؟

– نعم .

ومشى الطبيب إلى المائدة التي عليها زجاجات الشراب فأزاح غطاء زجاجة الشراب وتشمم محتوياته ثم تذوقه . وبعد ذلك تذوق الصودا . وهز رأسه قائلاً :

– إن كليهما على ما يرام .

فقال "**لومبارد**" :

– أتعني .. أنه قد وضع السم في كأسه بنفسه ؟

وأومأ "**أرمسترونج**" برأسه وعلى وجهه تعبير غريب من عدم الارتياح وقال:

– يبدو هذا .

فقال "**بلور**" :

– انتحار إذن ؟ إنها نهاية غريبة .

وقالت "**فيرا**" ببطء :

– لم يكن من الممكن أن يفكر المرء في أنه قد يقدم على قتل نفسه .. لقد كان مليئًا بالحياة .. لقد كان .. أوه ! كان يبدو .. كان يبدو .. أواه ! لا يمكنني أن أوضح .

ولكنهم كانوا يدركون ما تعنيه . لقد بدا "**أنتوني مارستون**" وهو في قمة شبابه ورجولته كمخلوق قوي ، والآن وقد تكور وتحطم .. فإنه يرقد على الأرض.

وقال الدكتور "**أرمسترونج**" :

– هل هناك أي احتمال عدا الانتحار ؟

وهز كل منهم رأسه .. لم يكن هناك تفسير آخر . إن الشراب نفسه لم يكن

ملوثًا . ولقد رأوه كلهم يمضي ليصب لنفسه كأسًا . وهذا يعني أن أي سيانيد وضع في الكأس قد وضع بيده هو.

وعلى الرغم من هذا .. فلماذا ينتحر "**أنتوني مارستون**" ؟

وقال "**بلور**" مفكرًا :

– أتعرف يا دكتور .. إن الأمر لا يبدو لي صحيحًا . لا يمكن أن أتقبل فكرة أن السيد "**أنتوني مارستون**" من صنف الناس الذين ينتحرون .

وقال "**أرمسترونج**" :

– وأنا أوافقك على هذا .

وتركوا الأمر معلقًا هكذا .. فأي شيء آخر يمكن أن يقولاه ؟

وحمل "**أرمسترونج**" و"**لومبارد**" معًا جسد "**أنتوني مارستون**" وأرقداه في سريره ثم غطياه بملاءة . وعندما عادا إلى غرفة الاستقبال ثانية ، كان الآخرون قد وقفوا متجمعين يرتجفون قليلاً على الرغم من أن الليلة لم تكن باردة .

وقالت "**إميلي برنت**" :

– من المستحسن أن نمضي إلى فراشنا ، لقد تأخر الوقت .

كانت الساعة قد تجاوزت الثانية عشرة . وبدا الاقتراح وجيهًا وعلى الرغم من ذلك تردد كل منهم في تلبيته . وبدوا كما لو كان كل منهم يتعلق بصحبة الآخرين.

وقال القاضي :

– نعم ، يجب أن ننام قليلاً .

وقال "**روجرز**" :

– إنني لم أرفع صحاف الطعام من غرفة المائدة بعد .

فقال "**لومبارد**" :

– ارفع هذه البقايا في الصباح .

وسأله "**أرمسترونج**" :

– هل زوجتك بخير ؟

– سأذهب لأراها يا سيدي .

وعاد بعد قليلٍ ليقول :

– إنها تنام نومًا هادئًا يا سيدي .

فقال الطبيب :

– عظيم . لا تقلق نومها .

– كلا يا سيدي ، لن أفعل . سأرتب كل شيء في غرفة المائدة وأطمئن على إغلاق جميع الأبواب ثم آوي إلى الفراش .

وعبر الردهة إلى غرفة الطعام .

وصعد الآخرون الدرج في موكب بطيء هياب .

لو أن المنزل كان منزلاً قديمًا ذا سلالم متداعية تصدر عنها أصوات مزعجة وبه ظلال قاتمة وجدران ثقيلة مزخرفة لكان خوفهم أكبر ، ولكن هذا المنزل كان نموذجًا لكل ما هو عصري . لم تكن فيه أركان مظلمة . وكان كل الضوء الكهربي يغمره وكل ما فيه جديد ولامع ولم يكن فيه شيء مختلف أو مختبئ.

وعلى الرغم من هذا فقد كان كل ذلك مصدراً لخوف أشد .

وتبادلوا تحيات المساء في أعلى الدرج .. وذهب كل منهم إلى غرفته . وتلقائيًا وبدون وعي منهم .. أحكم كل منهم رتاج بابه .

❁❁❁❁❁

وأخذ القاضي يغير ملابسه استعداداً للنوم في غرفته المريحة . كان يفكر في "**إدوارد سيتون**" .

وتذكر "**سيتون**" جيداً .. شعره .. عينيه الزرقاوين ، وعادته في النظر مباشرة إلى وجه الآخرين نظرة ملؤها شعور مريح بالصراحة . وكان هذا هو ما أحدث تأثيراً طيباً في المحلفين وأثار غضب "**ليوبين**" ممثل الادعاء هذا التأثير ؛ إذ بالغ في محاولته لإثبات التهمة على "**سيتون**" .

أما "**ماثيوز**" ممثل الدفاع فقد كان ممتازاً . كانت النقاط التي يثيرها واضحة ، وأسئلته قاتلة ، ولقد قام بعمله بكفاءة رائعة.

ومر "**سيتون**" من مرحلة الاستجواب بمهارة . لم ينفعل أو يبالغ وتأثر المحلفون . .
وملأ القاضي ساعته بعناية ووضعها إلى جوار سريره .
وتذكر بالضبط شعوره وهو جالس هناك يستمع ويدون ملاحظاته مقدراً كل ما يدور حوله منتبهاً إلى كل دليل يدين السجين .
لقد استمتع بهذه القضية . كان دفاع "**ماثيوز**" النهائي قطعة رائعة من الدرجة الأولى وتبعه "**ليوبين**" ولكنه فشل في إزاحة التأثير الطيب الذي أحدثه الدفاع .
وعندئذ جاء دوره لتلخيص القضية .
وخلع طاقم أسنانه الصناعية بعناية ووضعه في كوب من الماء، وانطبقت الشفتان المجعدتان . لقد أصبح فمه الآن قاسياً . . قاسياً ومتوحشاً . .
وابتسم القاضي لنفسه . .
لقد طبخ أوزة "**سيتون**" على ما يرام . .
وتنهد القاضي وهو يصعد إلى سريره ويطفئ نور الغرفة .

●●●●●

ووقف "**روجرز**" في غرفة الطعام متحيراً . .
كان يحملق إلى التماثيل الخزفية الموضوعة فوق المائدة . .
وغمغم لنفسه قائلاً : « هذا غريب . إنني أقسم إنهم كانوا عشرة أطفال » .
وتقلب الجنرال "**مكارثر**" على الجانبين . .
لم يطرق النوم جفنيه بعد . .
وفي ظلام الغرفة طفق وجه "**آرثر ريتشموند**" يلوح لناظريه .
لقد أحب "**آرثر**" . . لقد كان مغرماً به للغاية . وكان مسروراً إذ أحبته "**ليزلي**" هي الأخرى .
كانت "**ليزلي**" هوائية . . كانت تشيح بوجهها عن كثيرين من الناس وتصفهم بأنهم أغبياء . . أغبياء . . هكذا . .
ولكنها لم تعتبر "**آرثر**" غبيًا . . لقد تصادقا بسرعة منذ البداية . كانا يتحدثان معًا عن المسرحيات والموسيقى والرسومات . كانت تغيظه وتسخر منه وتكاد تمزقه

إربًا.. وكان هو ، "**مكارثر**" ، مسرورًا إذ اعتقد أنها قد تبنت "**آرثر**" .

تبنته حقًّا .. كان غبيًّا للغاية؛ إذ لم يتنبه إلى أن "**ريتشموند**" في الثانية والعشرين من عمره بينما "**ليزلي**" في التاسعة والعشرين .

كان مغرمًا بـ"**ليزلي**" . إنه يراها الآن بوجهها الصبوح وعينيها الراقصتين المرحتين وخصلات شعرها البني . كان يحبها ويثق بها تمامًا .

وهناك في "**فرنسا**" ، وسط جحيم الحرب..جلس يفكر فيها وهو ينظر إلى صورتها التي أخرجها من حافظته . وعندئذ اكتشف الأمر .

ولقد حدث الأمر كما يحدث في الروايات تمامًا .. خطاب في الظرف الخطأ.. كانت قد كتبت إلى كليهما ثم وضعت خطاب "**ريتشموند**" في الظرف الموجه إلى زوجها . حتى الآن ، وبعد كل هذه السنوات مازال يتذكر الصدمة.. والألم .. يالله ! ويا للسخرية !

كانت علاقتهما مستمرة منذ سنوات . فقد أوضح الخطاب هذا .. عطلات نهاية الأسبوع .. إجازة "**ريتشموند**" الأخيرة ..

"**ليزلي**" .. "**ليزلي**" .. و"**آرثر**" .

تبًّا لذلك الرجل .. تبًّا لوجهه الصبوح .. وإجابته الدائمة "سمعًا وطاعة يا سيدي" . الكاذب المنافق ، سارق زوجات الآخرين .

وتجمع الغضب القاتل البارد ببطء .

وتمكن من أن يبدو عاديًّا وألا يظهر ما يبطن . وحاول أن يجعل علاقته بـ"**ريتشموند**" عادية .

هل نجح في هذا ؟ يبدو ذلك؛ إذ لم يشك "**ريتشموند**" في شيء . فقد كان شيئًا عاديًّا في مثل ظروف الحرب أن تتغير الأمزجة .

أما "**أرميتاج**" الشاب فهو وحده الذي رمقه ذات مرة باستغراب . كان شابًّا صغيرًا ولكن كانت له شكوكه .

ربما ظن "**أرميتاج**" شيئًا .. عندما حان الوقت ..

"لقد أرسل "**ريتشموند**" عمدًا إلى حتفه غير آسف عليه . كان الأمر سهلاً . كانت الأخطاء ترتكب طيلة الوقت ، والضباط يرسلون إلى الموت دون داع . كانت

الفوضى تعم كل شيء . وربما يقول الناس فيما بعد : «لقد فقد "**مكارثر**" الكهل أعصابه قليلاً فارتكب أخطاء جسيمة وضحى ببعض رجاله» . ولكن لم يكن في وسعهم أن يقولوا أكثر من هذا .

ولكن "**أرميتاج**" الشاب كان مختلفاً عنهم. كان ينظر إلى قائده بطريقة غريبة. ربما كان يعرف أن "**ريتشموند**" قد أرسل إلى الموت عمداً ..

هل تكلم "**أرميتاج**" .. بعد نهاية الحرب ؟

ولم تعرف "**ليزلي**" ولقد بكت "**ليزلي**" على حبيبها كما يعتقد .. ولكن بكاءها كان قد انتهى عندما عاد هو إلى "**إنجلترا**" . ولم يخبرها قط أنه اكتشف حقيقتها . وعاشا معاً .. إلا أنها لم تعد تبدو على طبيعتها قط .. بعد ذلك وبعد ثلاث سنوات أو أربع مرضت ثم توفيت .

لقد مضى زمن طويل على كل هذا ، خمسة عشر عاماً .. ستة عشر ؟ .

وقد ترك الجيش وجاء ليعيش في "**ديفون**" .. واشترى منزلاً من النوع الذي كان يتمنى دائماً أن يشتريه . وكان جيرانه طيبين .. مكان رائع . كان يصطاد في بعض الأحيان . كما يذهب إلى الكنيسة كل أحد .

كان في البداية يعتقد أن كل الناس من الصدِّيقين، بعدها داهمته الأزمة فأحس بشعور قلق مضن قوامه أن الناس يتكلمون عنه من وراء ظهره .

وأصبحوا يرمقونه بطريقة مختلفة شيئاً ما .. وانطلقت بعض الشائعات الكاذبة..

"**أرميتاج**" ؟ لابد أن "**أرميتاج**" قد تكلم .

وتجنب الناس بعدها .. واعتكف في منزله . حقيقة لا يرتاح المرء إلى أحد حين يشعر بأن الناس يتناقشون عنه .

كل هذا قد مضى ، وأصبح يتجنب زملاءه العسكريين القدامى.

– لو أن "**أرميتاج**" قد تكلم فلابد من أنهم يعرفون جلية الأمر .. وهذه الليلة .. أطلق صوت مجهول الذكرى من مكمنها .

هل عالج الأمر على ما يرام ؟ ألم ترتجف شفتاه ؟ ألم يخن تعبيره شعوره الحقيقي؟ الغضب والاشمئزاز . ولكن ليس الإثم .. من الصعب معرفة الحقيقة .

بالتأكيد لا يمكن أن يتقبل أي أحد هذه الاتهامات بجدية .. كان هناك كوم من التفاهات الأخرى ، تلك الفتاة الساحرة .. لقد اتهمها الصوت بإغراق طفل.. سذاجة .. مجنون يلقي بالاتهامات من بين يديه ومن خلفه .

و"**إميلي برنت**" أيضا . بالتأكيد قريبة لـ"**توم برنت**" من كتيبته.. لقد اتهمها الصوت بالقتل . إن أي امرئ يمكنه أن يحكم وهو مغمض العينين بأنها رائعة للغاية.

إن الأمر كله لعجيب وغريب .. جنون .. ولا شيء عدا هذا .

منذ أن وصلوا إلى هنا .. متى كان وصولهم ؟ بالتأكيد .. يا للهول ! لقد كان وصولهم في عصر هذا اليوم، ولكنه يبدو كما لو كان قد حدث منذ زمن أطول .

وفكر متعجبًا .. «متى سنغادر هذا المكان مرة أخرى ؟ » .

غداً بالتأكيد .. عندما يحضر القارب ذو المحرك .

من المضحك أنه في هذه اللحظة لا يريد أن يغادر الجزيرة . أيعود إلى العالم مرة أخرى .. يعود إلى المنزل الصغير .. إلى المتاعب والآلام ؟

ومن النافذة المفتوحة أمكنه أن يسمع أصوات تكسر الموج على الصخور .

صوت أعلى من صوت السماء . إن الرياح بدأت تشتد هي الأخرى .

وفكر .. «صوت هادئ .. مكان هادئ» .

وفكر : «أحسن ما في الجزر أنك ما إن تصل إليها حتى تجد أنك لا تستطيع أن تمضي قدمًا أكثر من ذلك .. إنك تصل إلى نهاية الأشياء .. »

وأدرك فجأة أنه لا يريد أن يغادر هذه الجزيرة .

*****

استلقت "**فيرا كليثون**" على سريرها مفتحة العينين تحدق إلى السقف . كان المصباح إلى جوارها مضاء .. وكانت خائفة من الظلمة .

وكانت تفكر :

« "هوجو" ، "هوجو" . لماذا أحس بأنك قريب مني هذه الليلة ، في مكان قريب للغاية ؟ أين هو حقًا ؟ لا أعلم .. ولن أعلم .. لقد ذهب بعيداً جداً . خارج أسوار حياتي » لم يكن من المفيد محاولة التفكير في "**هوجو**" .. كان قريباً منها للغاية. كان يجب عليها أن تفكر فيه، أن تتذكر "**كورنول**" والصخور السوداء، والرمال الناعمة الصفراء ، والسيدة "**هاملتون**" البدينة المرحة.. و"**سيريل**" .. دائماً يبكي ، يشكو من يده .

– أريد أن أسير إلى الصخور يا آنسة "**كليثون**" ، لماذا لا يمكن لي أن أسبح إلى الصخور وأستمتع بالنظر إلى أعلى .. والالتقاء بعيني "**هوجو**" اللتين أرقبهما ؟.. وفي الأمسيات ، وبعد أن يأوي "**هوجو**" إلى فراشه ..

– تعالي نتمشى قليلاً يا آنسة "**كليثون**" .

– أعتقد أنني سأفعل .

والسير على شاطئ البحر .. وضوء القمر .. وجو المحيط الرطب وعندئذ .. ذراعا "**هوجو**" تحيطان بها .

ثم .. ذراعا "**هوجو**" تلتفان حولها .

– أحبك . أحبك . إنك لتعرفين أنني أحبك يا "**فيرا**" .

نعم كانت تعرف .

– لا يمكنني أن أطلب منك أن تتزوجيني ، ليس لدي مليم واحد .. لا يمكنني إلا أن أقيم أودي . أتعرفين أنه من الغريب حقًا أنه لو أتيحت لي الفرصة مرة واحدة ولمدة ثلاثة أشهر فقط لأصبحت غنيًا !

إن "**سيريل**" لم يولد إلا بعد وفاة "**موريس**" بثلاثة أشهر .. لو كان فتاة . لو أن الطفل جاء بنتاً لورث "**هوجو**" كل شيء . لقد خاب أمله كما اعترف لها .

– لم أبن أملا على هذا بالتأكيد . ولكنها كانت نوعًا من الصدمة . حسنًا .. إن الحظ هو الحظ . إن "**سيريل**" صبي لطيف . إنني مغرم به للغاية .

وكان الصبي مغرمًا به أيضًا ، فقد كان على استعداد لأن يلاعبه ويسليه ، فلم يكن في طبيعة "**هوجو**" حمل اية ضغينة بين جوانحه .

لم يكن "**سيريل**" في صحة قوية ، بل كان طفلاً معتلاً من أصناف الأطفال

الذين لا يعيشون للنمو ..

وبعدئذ ..

– يا آنسة "**كليثون**" لماذا لا أصعد إلى الصخور ؟ !

توسل مثير ..

– إنها بعيدة جدًّا يا "**سيريل**" .

– ولكن يا آنسة ..

ونهضت "**فيرا**" ، وذهبت إلى مائدة الزينة وابتلعت ثلاثة أقراص من الأسبيرين.

وفكرت: «ليتني كان معي الحبوب المنومة.» «لو أنني أردت الانتحار لأخذت جرعة مضاعفة من "**الفيرونال**". شيء من هذا القبيل وليس "**السيانيد**"..»

وارتجفت عندما تذكرت وجه "**أنتوني مارستون**" المكفهر . وبينما كانت تمر بالرف نظرت إلى القصيدة المعلقة .

"ذهب عشرة أطفال للعشاء

وغص أحدهم ومات فلم يبق منهم سوى تسعة"

وفكرت في نفسها :«إنه فظيع .. تمامًا كما حدث هذه الليلة .. لماذا أراد "**أنتوني مارستون**" الموت . إني لا أريد أن تموت .لا يمكن أن أتمنى الموت . إن الموت من .. من أجل الآخرين ..»

- 6 -

كان الدكتور "**أرمسترونج**" يحلم ..

كان الجو شديد الحرارة في غرفة العمليات ، والعرق يغمر وجهه ، ويداه لزجتان . وأصبح من الصعب الإمساك بالمشرط بثبات .

كم كان المشرط حادًّا .. من السهل القتل بمثل هذا المشرط .. وبالتأكيد كان يرتكب جريمة ..

وبدا جسد المرأة مختلفًا .. جسد طويل غير عريض .. جسم نحيل .. ووجه مختف . ترى من كانت تلك التي قتلها ؟

لا يستطيع أن يتذكرها .. ولكن يجب أن يتذكرها ، أيجب أن يسأل المرضة؟

كانت المرضة تراقبه .. كلا ، لا يمكن أن يسألها ، كانت تشك في كل شيء ، وكان من الممكن إدراك هذا ، بل كان يجب عليهم ألا يغطوا وجهها هكذا !

لو كان يستطيع أن يرى وجهها ؟

آه ! هذا حسن . لقد بدأ أحد أطباء الامتياز يجر المنديل .

"**إميلي برنت**" بالتأكيد . إنها "**إميلي برنت**" التي كان عليه أن يقتلها ، يا لعينيها الخبيثتين ! كانت عيناها تتحركان . ماذا كانت تقول ؟ !

«في منتصف حياتنا .. نموت ..»

«إنها تضحك الآن ، كلا أيتها المرضة . لا تعيدي المنديل ثانية، يجب أن أراها. أين المخدر ؟ لابد أني قد أحضرته معي .. ماذا فعلت بالمخدر أيتها المرضة ؟ "**شاتو نوف دي باب**" ؟ نعم .. هذا سيفيد تمامًا .

ارفعي المنديل أيتها المرضة . بالتأكيد ، لقد كنت أعرف هذا طيلة الوقت . إنه "**أنتوني مارستون**" .. إن وجهه قرمزي ومكفهر، ولكنه لم يمت. إنه يضحك. أقول إنه يضحك. إنه يهز مائدة العمليات . استمع إليّ يا رجل ، أيتها المرضة . ثبتي المائدة .. ثبتيها ».

واستيقظ الدكتور "**أرمسترونج**" فجأة . كان الصباح قد طلع ، وكان ضوء الشمس يغمر الغرفة .

وكان شخص ما منحنيًا فوقه يهزه . كان "**روجرز**" ، شاحب الوجه وكان يقول :

– دكتور .. دكتور .

وأفاق الدكتور "**أرمسترونج**" تمامًا . وجلس في السرير . وقال بحدة :

– ماذا هناك ؟ .

– زوجتي يا دكتور . لا أستطيع إيقاظها . يا إلهي ! لا أستطيع إيقاظها ، و... وأخشى أن يكون قد أصابها مكروه .

وكان الدكتور "**أرمسترونج**" سريع الاستجابة ، فدثر نفسه بالروب وتبع "**روجرز**" .

وانحنى فوق السرير حيث كانت ترقد المرأة على جنبها بسلام ورفع اليد الباردة ، ثم فتح الجفن ، ومضت بعض الثواني قبل أن يستقيم جسمه ويستدير عن السرير.

وهمس "روجرز" :

– هل .. هل .. ؟

وبلل شفتيه الجافتين ، وأومأ "أرمسترونج" برأسه وقال :

– نعم ، لقد ماتت .

واستقرت عيناه – في تفكيره – على الرجل الواقف أمامه .. ثم ذهبا إلى المائدة المجاورة للسرير ، ثم إلى مائدة الغسل ، ثم عادا إلى المرأة المستلقية .

وقال "روجرز" :

– لقد كانت تشكو من روماتيزم في المفاصل .

– وهل فحصها طبيب ؟ .

– طبيب ! إنها لم تعرض نفسها على أي طبيب منذ سنوات مضت ولا أنا.

– هل عندك شك في أنها كانت تعاني أي متاعب في قلبها ؟

– لا يا دكتور ، لم أعلم بشيء من هذا قط .

– هل نامت نومًا هادئًا ؟

وزاغت عينا "روجرز" بعيداً عن عينيه وأخذ يفرك يديه ثم قال:

– كلا .. لم تنم نومًا هادئًا .

فقال الطبيب محتداً :

– هل تناولت أي منوم ؟

فحدق إليه "روجرز" دهشًا وقال :

– تناولت منوّمًا ! لا أعرف شيئًا من هذا القبيل . إني واثق بأنها لم تفعل هذا.

ومضى "أرمسترونج" إلى مائدة الغسل .

كان عليها عدد من الزجاجات .. زجاجة غسل شعر .. ماء كولونيا .. جلسرين.. معجون أسنان .. دواء للغرغرة ، وفتح "روجرز" أدراج مائدة الزينة. وبعدها مضيا إلى أدراج الصوان .

ولكن لم يكن في أي واحد منها أية أدوية أو أقراص .

وقال "**روجرز**" :

– إنها لم تتناول أي شيء الليلة الماضية سوى ما أعطيتها أنت يا سيدي.

*****

عندما دق الجرس إيذانًا بتناول الفطور كان كل منهم قد استيقظ بالفعل وجلس ينتظره .

كان الجنرال "**مكارثر**" والقاضي يتمشيان في الشرفة ويتبادلان الحديث حول الموقف السياسي، وكانت "**فيرا كليثون**" و"**فيليب لومبارد**" قد ارتقيا أعلى الجزيرة خلف القصر حيث وجدا "**ويليام هنري بلور**" واقفًا يحدق إلى الشاطئ الآخر . وقال :

– لم يبد أي أثر للقارب ذي المحرك بعد ، لقد كنت أترقبه .

وقالت "**فيرا**" وهي تبتسم :

– إن إقليم "**ديفون**" يبعث على النوم ، ودائمًا ما يتأخر العمل فيه .

وكان "**فيليب لومبارد**" ينظر في الاتجاه الآخر إلى البحر .. وقال فجأة :

– ما قولكم في الجو ؟

ونظر "**بلور**" إلى السماء ثم قال :

– يبدو لي على ما يرام .

وأخذ "**لومبارد**" يصفر بفمه ثم قال :

– قبل أن ينتهي النهار ستهب عاصفة .

وقال "**بلور**" :

– عاصفة عنيفة ..

ومن أسفل سمعوا صوت الجرس . وقال "**فيليب لومبارد**" :

– الفطور .. حسن ، بودي أن أتناول شيئًا منه .

وبينما كانوا يهبطون قال "**بلور**" لـ "**لومبارد**" :

– إنني سأواصل البحث عن الدافع الذي جعل هذا الشاب ينتحر. لقد أقلقني

طيلة الليل .

كانت "**فيرا**" قد سبقتهم قليلاً ، وتأخر "**لومبارد**" قليلاً ثم قال :

– هل عندك نظرية بديلة ؟

– إنني في حاجة إلى بعض الأدلة ، الدافع أولاً ، يمكنني أن أقول إنه كان ثريًّا .

وخرجت "**إميلي برنت**" من شرفة الاستقبال لتلتقي بهم . وقالت بحدة :

– هل أتى القارب ؟

وقالت "**فيرا**" :

– لم يأت بعد .

ومضوا لتناول الفطور .. وكان على جانب من المائدة طبق كبير من البيض واللحم وبعض القهوة والشاي . وأمسك لهم "**روجرز**" الباب كي يمروا ثم أغلقه وراءهم من الخارج . وقالت "**إميلي برنت**" :

– إن هذا الرجل يبدو مريضاً هذا الصباح .

وقال لهم الدكتور "**أرمسترونغ**" الذي كان يقف إلى جوار النافذة:

– يجب أن تتغاضوا عن أي نقص في الطعام هذا الصباح . لقد بذل "**روجرز**" كل ما في وسعه لإعداده وحده. إن السيدة "**روجرز**" قد .. إنها غير قادرة على العمل هذا الصباح .

وقالت "**إميلي برنت**" بحدة :

– ماذا جرى للمرأة ؟

فقال الدكتور "**أرمسترونغ**" بهدوء :

– لنبدأ فطورنا ، سيبرد البيض ، وبعد هذا فهناك عديد من الموضوعات التي أريد أن أناقشها معكم .

ووافقوا على اقتراحه .. وامتلأت الأطباق وصبت أقداح القهوة والشاي .. وبدأت الوجبة . وتجنب الجميع – باتفاق جماعي – الحديث عن الجزيرة ، وبدلاً من هذا أخذوا يتحدثون بطريقة عصرية عن الأحداث الجارية . وبعدما فرغت الأطباق حرّك الدكتور "**أرمسترونغ**" مقعده قليلاً إلى الخلف .. وبعد أن شحذ حنجرته تكلم فقال :

– لقد اعتقدت أنه من المستحسن أن ننتظر حتى تنتهوا من فطوركم قبل أن أخبركم بنبأ سيئ . لقد توفيت السيدة "روجرز" في أثناء نومها .

وتعالت صيحات الصدمة والحزن .

فصاحت "فيرا" :

– يا للفظاعة . ميتان في الجزيرة منذ وصولنا !

وضاقت عينا السيد "وارجريف" وقال بصوته الواضح المحدد :

– هيه . عظيم جداً . وماذا كان سبب الوفاة ؟

فهزّ "أرمسترونج" كتفيه وقال :

– من المستحيل أن أقول بدون فحص .

– هل تحتاج إلى تشريح ؟

– لا أستطيع بالتأكيد أن أعطي تصريحًا بالدفن . ليس لدي علم عن حالة المرأة الصحية قبل وفاتها .

وقالت "فيرا" :

– لقد كانت عصبية للغاية . ولقد أصيبت بصدمة في الليلة الماضية . أعتقد أنها أصيبت بصدمة قلبية .

وقال الدكتور "أرمسترونج" بجفاف :

– لقد توقف قلبها عن العمل بالتأكيد .. ولكن ما الذي جعله يتوقف عن العمل؟

وأفلتت كلمة من فم "إميلي برنت" . كلمة واضحة قاسية على أسماع الباقين:

– الضمير .

والتفت "أرمسترونج" إليها وقال :

– ما الذي تعنينه بالضبط بهذا القول يا آنسة "برنت" ؟

– لقد سمعتم كلكم ، لقد اتهمت بقتل مخدومتها عمداً بالاشتراك مع زوجها .. قتل سيدة عجوز .

– أو تعتقدين هذا ؟

– أعتقد أن هذا الاتهام صحيح . لقد رأيتموها كلكم ليلة أمس. لقد انهارت

مرة واحدة وأغمي عليها . كانت صدمة اكتشاف الأمر صعبة عليها . لقد ماتت ببساطة بسبب الخوف.

وهز الدكتور "**أرمسترونج**" رأسه بشك وقال :

– إنها نظرية مستحيلة .. لا يمكن للإنسان أن يتقبلها بدون معرفة سابقة بحالتها الصحية لو كانت مصابة بضعف في ..

وقالت "**إميلي برنت**" بسرعة :

– إذا كنت تفضل يمكنك أن تسميه (إرادة الله) .

وصدم كل واحد منهم . وقال السيد "**بلور**" بعدم ارتياح :

– إنك تبالغين في الأمر قليلاً يا آنسة "**برنت**" .

ثم أضاف "**بلور**" موجهًا سؤاله إلى الطبيب :

– ماذا أكلت أو شربت ليلة الأمس بعد أن أوت إلى فراشها ؟

فقال "**أرمسترونج**" :

– لا شيء .

– ألم تأخذ شيئًا ؟ حتى ولا قدحًا من الشاي ؟ ولا شربة ماء ؟ أراهن أنها تناولت كوبًا من الشاي .. إن هذا غالبًا ما يحدث .

– لقد أكد لي "**روجرز**" هذا .

– ولكنه يجب أن يقول هذا .

كانت نبراته تحمل معنى الاتهام إلى الدرجة التي جعلت "**أرمسترونج**" يلتفت إليه بحدة.

وقال "**فيليب لومبارد**" :

– أي أن هذه هي نظريتك ؟

فقال "**بلور**" لـ "**لومبارد**" بعداء :

– حسنًا، ولم لا ؟ لقد سمعنا كلنا – ليلة الأمس – وقائع الاتهام . قد لا يكون الأمر سوى جنون القمر ، ومن ناحية أخرى فقد لا يكون . خذوا الأمر برهة على أنه حقيقة . لقد قتل "**روجرز**" هو وزوجته سيدتهما العجوز .حسنًا ، إلى أين يقودكم هذا ؟ كانا يشعران بأمن وسعادة حول ..

وقاطعته "فيرا" قائلة بصوت خافت :

– كلا ، لا أعتقد أن السيدة "روجرز" قد شعرت باي أمن .

وتضايق "بلور" قليلاً من مقاطعتها .. وقالت عيناه : « تتكلم تماماً كامرأة » ثم استأنف حديثه قائلاً :

– ربما كان هذا حقًا . وعلى كل حال فلم يكونا في خطر حقيقي على قدر عملهما . وعندما حدث ما حدث في ليلة الأمس وأذاع مجنون ما ذلك السر .. ماذا حدث ؟ انهارت المرأة .. وتحطمت تماماً . هل لاحظتم كيف أحاطها زوجها عندما بدأت تفيق . لم يكن عطفًا زوجيًا بل كان مثل قط فوق صفيح ساخن حتى مات مما قد ينم عن أن جرمهما تم منذ وقت حديث .

وإليكم هذا الموقف . لقد ارتكبا جريمة دون أن ينكشف أمرهما . ولكن إذا ما ذاع الخبر فماذا سوف يحدث ؟ عشرة احتمالات ضد احتمال واحد .. تقول إن المرأة ستعترف ، فليس لها من قوة الأعصاب ما يمكنها من أن تصر على الإنكار .. إنها خطر حتى بالنسبة إلى زوجها .. إنه على ما يرام .. سيكذب وهو ثابت الجنان إلى يوم القيامة ولكنه ليس واثقًا بها هي . وإذا انهارت فسيلتف حبل المشنقة حول رقبته .. وهكذا فقد وضع شيئًا في كوب الشاي كي يتأكد من انغلاق فمها إلى الأبد .

فقال "أرمسترونغ" ببطء :

– لم يكن هناك أي كوب فارغ إلى جوار سريرها . لا شيء على الإطلاق ، لقد بحثت جيداً .

فقال "بلور" باستهزاء :

– بالتأكيد لم تجد شيئًا . إن أول شيء فعله بعد أن شربت الشاي أن أخذ الكوب فغسله جيداً .

وتوقف الحديث ، وبعدها قال الجنرال "مكارثر" في ارتياب :

– ربما كان هذا حقًا .. ولكنني لا أستطيع الاقتناع بأنه من الممكن لرجل أن يفعل هذا .. مع زوجته .

فضحك "بلور" ضحكة قصيرة وقال :

– عندما يهدد حبل المشنقة عنق الرجل فإنه لا يتوقف ليفكر في العواطف .

وتوقف الحديث . وقبل أن يتكلم أي شخص ، انفتح الباب . ودخل "**روجرز**" .. وقال وهو ينقل نظره من واحد إلى آخر .

– هل هناك أي شيء آخر يمكنني أن أؤديه لكم ؟

وتحرك السيد "**وارجريف**" قليلاً في مقعده وقال :

– ما هو الوقت المعتاد الذي يصل فيه القارب ذو المحرك ؟

– فيما بين السابعة والثامنة يا سيدي . وفي بعض الأحيان يتأخر قليلاً عن الثامنة. ولا علم لي بما فعله "**فريد ناركوت**" هذا الصباح . ولو أنه كان مريضًا لأرسل أخاه بدلاً منه .

وقال "**فيليب لومبارد**" :

– كم الساعة الآن ؟

– العاشرة إلا عشر دقائق يا سيدي .

وارتفع حاجبا "**لومبارد**" . وأخذ يهز رأسه ببطء . وانتظر "**روجرز**" لحظة .

وفجأة تكلم الجنرال منفجراً وقائلاً :

– يؤسفني ما سمعته عن وفاة زوجتك يا "**روجرز**" ، لقد أخبرنا الدكتور لتوه بالنبأ .

وحنى "**روجرز**" رأسه وقال :

– شكرًا يا سيدي .

وأخذ طبق الطعام الفارغ وخرج من الغرفة .

ومن جديد ران الصمت على الجميع .

❁❁❁❁❁

قال "**فيليب لومبارد**" وهو في الشرفة :

– أما عن ذلك القارب ذي المحرك ..

ونظر "**بلور**" إليه وهز رأسه موافقًا . ثم قال :

– أنا أعلم فيما تفكر يا سيد "**لومبارد**" ، لقد سالت نفسي عين السؤال . كان مقدراً للقارب أن يصل إلى هنا منذ ساعتين بالضبط ولكنه لم يصل . لماذا؟

– هل وجدت جوابًا ؟

– إنه ليس مصادفة .. هذا هو رأيي . إنه جزء لا يتجزأ من العملية كلها .. إن كل العملية متماسكة ببعضها .

– أتعتقد أنه لن يأتي ؟

وجاء الرد من صوت خلفهما .. صوت مملوء بعدم الصبر :

– لن يأتي القارب ..

والتفت "**بلور**" برأسه قليلاً إلى الخلف وتفحص المتكلم متأملاً ثم قال :

– أنت أيضًا تعتقد ذلك يا چنرال ؟

فقال الجنرال "**مكارثر**" بحدة :

– بالتأكيد لن يأتي . إننا نعتمد على القارب في نقلنا من الجزيرة ، هذا هو لب الموضوع . إننا جميعًا لن نغادر هذه الجزيرة .. حتى ولا أي واحد منا سوف يغادرها. إنها النهاية كما ترى .. نهاية كل شيء مروع!!

وتردد قبل أن يقول بصوت غريب منخفض:

– إنه السلام .. السلام الحقيقي أن نصل إلى النهاية، وأن نضطر إلى متابعة المسير.. نعم هذا هو السلام الذي ننشده .

واستدار فجأة ومشى بعيداً . وعبر الشرفة ثم أخذ يهبط المنحدر إلى شاطئ البحر ، إلى نهاية الجزيرة حيث تنحدر الصخور الزلقة إلى البحر . وسار قليلاً في غير ثبات .. كرجل نصف مستيقظ .

وقال "**بلور**" :

– وهكذا يمضي شخص آخر . يبدو أن الأمر سينتهي بكل منا هكذا .

فقال "**لومبارد**" :

– لا أعتقد أنك ستفعلها يا "**بلور**" .

فضحك مفتش الشرطة السابق قائلاً :

– سيكلفني الأمر كثيراً كي أثوب إلى رشدي كما أنني لن أعتقد أنك أيضًا

ستسلك الطريق نفسه يا سيد "**لومبارد**" .

– إنني أشعر تمامًا بأنني في كامل وعيي في هذه اللحظة . شكرًا لك .

*****

وخرج الدكتور "**أرمسترونج**" إلى الشرفة .. ووقف مترددًا . وعن يساره كان يقف "**بلور**" و"**لومبارد**" وعن يمينه "**وارجريف**" يذرع الشرفة ببطء جيئة وذهابًا ورأسه قد انحنى إلى أسفل .

وبعد لحظة من الحيرة انضم "**أرمسترونج**" إلى "**وارجريف**"، ولكن في هذه اللحظة جاء "**روجرز**" مسرعًا إليه وقال :

– هل يمكنني أن أتحدث إليك يا سيدي ؟

واستدار "**أرمسترونج**" إليه . وبهت لما رآه .. كان وجه "**روجرز**" منفعلاً .. لونه مخضر .. ويداه ترتجفان ..

كانت مفارقة غريبة لاحتفاظه باتزانه منذ دقائق قليلة خلت إلى الدرجة التي أصابت "**أرمسترونج**" بالذهول .. واستدار الطبيب ودخل معه المنزل .. وقال :

– ما الأمر يا رجل ؟ تمالك نفسك .

– تعال هنا يا سيدي . تعال إلى هنا .

وفتح باب غرفة المائدة فمر منه الطبيب .. وتبعه "**روجرز**" وأغلق خلفهما الباب .

فقال "**أرمسترونج**" :

– حسنًا ، ماذا هناك ؟

وأخذ "**روجرز**" يبتلع ريقه بصوت مسموع ، وقال بجهد :

– هناك أشياء تحدث يا سيدي لا أستطيع فهم كنهها .

فقال "**أرمسترونج**" بحدة :

– أشياء ؟ أي أشياء ؟

– ستظن أنني مجنون يا سيدي .. ستقول إن لا شيء في الأمر .. ولكن يجب

أن يوجد أي تفسير لها .. يجب أن يوجد أي تفسير .. إذ لا يوجد معنى لها ..

– حسنًا يا رجل ، اخبرني بما عندك ، لا تتحدث هكذا بالألغاز .

– إنها تلك التماثيل الصغيرة .. تلك التي في منتصف المائدة .. التماثيل الخزفية الصغيرة لقد كانوا عشرة .. أقسم إنهم كانوا عشرة .

– نعم ، كانوا عشرة . لقد عددناهم ليلة أمس .

فاقترب "روجرز" منه وقال :

– هذا حقيقي يا سيدي.. وليلة الأمس ، بينما كنت أنظف المائدة لم يكن هناك سوى تسعة منهم . لقد لاحظت هذا واستغربت، ولكن فكري توقف عند هذا الحد. والآن يا سيدي هذا الصباح.. إنني لم ألحظها وأنا أضع الفطور . كنت مرتبكًا.. ولكن الآن وأنا أنظف المائدة .. يمكنك أن تنظر بنفسك إن كنت لا تصدقني . إنهم ثمانية فقط يا سيدي .. ثمانية فقط . أليس لهذا معنى ملموس؟ ثمانية فقط !!

- 7 -

كانت "إميلي برنت" بعد أن تناولت الفطور قد اقترحت على "فيرا كليثون" أن ترتقيا قمة المرتفع ثانية ترقبًا لوصول القارب ، ووافقت "فيرا" على الاقتراح. وقالت "إميلي برنت" :

– إن الرجل الذي احضرنا هنا بالأمس يبدو رجلاً يمكن الاعتماد عليه ، ومن الغريب حقًا أن يتأخر هكذا هذا الصباح .

ولم تتكلم "فيرا" .. كانت تكافح ثورة من الغضب تتزايد بداخلها . وقالت لنفسها بغضب : « يجب أن تحتفظي ببرودك . إن هذا ليس من شيمتك . لقد كنت دائمًا تتمتعين بأعصاب قوية » . ثم رفعت صوتها ، وقالت بعد صمت قصير:

– أتمنى لو يأتي . إنني أريد الرحيل .

فقالت "إميلي برنت" بجفاف :

– لا يخالجني شك في أننا كلنا نود الرحيل .

– إن الأمر كله غير عادي . لايبدو أي .. أي معنى لما يحدث .

– إنني لغاضبة من نفسي إذ خدعت بسهولة للمجيء إلى هنا . وإذا فُحص الخطاب جيداً فسوف يتبين مدى تفاهته .. ولكن لم تخامرني أية شكوك وقتها .. على الإطلاق .

– أعتقد هذا .

– إن الإنسان يتقبل بعض الأشياء في كثير من الأحيان دون تمحيص .

وتنهدت "فيرا" بعمق ثم قالت :

– هل تؤمنين حقًّا بـ .. بما قلته في أثناء تناول الفطور ؟

– كوني دقيقة شيئًا ما يا عزيزتي ، ما الذي تشيرين إليه بالضبط بقولك هذا؟

فقالت "فيرا" بصوت خافت :

– أتعتقدين حقًّا أن "روجرز" وزوجته قد قتلا السيدة العجوز ؟

وحدّقت "إميلي برنت" إلى مياه البحر مفكرة . ثم قالت:

– إنني شخصيًّا واثقة تمامًا بهذا . وما رأيك أنت ؟

– لا أدري فيما أفكر ؟

– إن كل شيء يؤيد هذه الفكرة .. الطريقة التي أغمي بها على المرأة .. والتي أسقط بها الرجل صينية القهوة .. أتذكرين ؟ وبعد ذلك الطريقة التي تحدث بها عن الأمر .. إنها لم تبد كلها حقيقية .

– أوه ! إنني أخشى أن يكونا قد فعلاها هنا .

– الطريقة التي كانت تبدو بها .. خائفة حتى من شبحها هي .. لم أر قط امرأة تبدو بهذا الخوف ، لابد أن هذا الخوف ظل يلازمها ويطاردها .

– إنني أذكر جملة كانت معلقة في غرفتي وأنا طفلة: « كن واثقًا بأن خطيئتك ستكشف سترك » .

– إن هذا لحق .. كن واثقًا بأن خطيئتك ستكشف سترك .

وتهاوت "فيرا" على قدميها وقالت :

– ولكن يا آنسة "برنت" .. آنسة "برنت" .. في هذه الحالة .

– ماذا يا عزيزتي ؟

– والآخرون ، ماذا عن الآخرين ؟

– إنني لا أفهمك تماماً .

– كل تلك الاتهامات الأخرى .. إنها لم تكن صحيحة . ولكنها إذا كانت كذلك فيما يتعلق بـ "**روجرز**" .

وتوقفت عجزاً عن توضيح أفكارها المتضاربة .

وقالت "**إميلي برنت**" :

– إنني أفهمك الآن .. حسن . هناك السيد "**لومبارد**" هذا .. لقد اعترف بالتخلي عن عشرين رجلاً ليلقوا حتفهم .

– لم يكونوا إلا وطنيين .

فقالت "**إميلي برنت**" محتدة :

– سواء أكانوا بيضاً أم سوداً فإنهم إخوة لنا .. ولا فرق بيننا وبينهم على الإطلاق .

وفكرت "**فيرا**" : «إخوتنا السود .. إخوتنا السود . إنني أوشك أن أضحك . إنني في حالة عصبية . إنني لست على ما يرام» .

وواصلت الآنسة "**برنت**" قولها متفكرة :

– بالتأكيد أن بعضاً من الاتهامات الأخرى تافهة ومبالغ فيها . الاتهام الموجّه إلى القاضي ، على سبيل المثال .. لقد كان يؤدي واجباً، وضد رجل الشرطة السابق، وضدي أنا شخصياً .

وتوقفت قليلاً قبل أن تواصل الحديث قائلة :

– بالتأكيد فإنه نظراً لظروف الأمس ، لم أنبس ببنت شفة .. فلم يكن الموضوع مناسباً للحديث أمام الرجل .

– ألم يكن ؟

وواصلت "**إميلي برنت**" حديثها برصانة واستمعت إليها "**فيرا**" باهتمام :

– لقد كانت "**بياتريس تايلور**" تعمل في خدمتي . لم تكن فتاة لطيفة كما اكتشفت مؤخراً. لقد خدعت فيها إلى درجة كبيرة .. كانت أخلاقها طيبة ..

وكانت نظيفة تمامًا ومطيعة . كنت مسرورة منها إلى حد كبير ، وبالتأكيد كان هذا نفاقًا رخيصًا منها . كانت فتاة فاسدة الأخلاق .. مثيرة للاشمئزاز .. ومضى وقت قبل أن أكتشف أنها كانت فيما يسمونه في مأزق .. كان هذا صدمة لي؛ إذ إن والديها كانا خيِّرين وربياها بتحفظ شديد ، وإنني لمسرورة إذ أقول إنهما لم يرضيا عن مسلكها .

وقالت "فيرا" وهي تحملق إلى الآنسة "برنت" :

– وماذا حدث ؟

– بالتأكيد لم أبقها في منزلي ولو ساعة بعد ذلك؛ كي لا يقول أحد إنني وافقتها على سلوكها .

وقالت "فيرا" بصوت أكثر خفوتًا :

– وماذا حدث لها ؟

– إن المخلوقة الضالة لم تكتف بارتكاب خطيئة واحدة بل أضافت إلى وزرها خطيئة أشد .. لقد انتحرت .

وهمست "فيرا" وقد أصابها الذعر :

– قتلت نفسها !

– نعم .. لقد ألقت بنفسها إلى النهر .

وارتجفت "فيرا" ، وحدقت إلى المنظر الجانبي الهادئ الرقيق لوجه الآنسة "برنت" .. ثم قالت :

– بماذا شعرت عندما علمت بهذا النبأ ؟ هل أحسست بالأسف؟ ألم تلومي نفسك ؟

– أنا ؟ ليس لدي ما ألوم نفسي عليه .

– ولكن إذا كانت .. قسوتك .. هي التي دفعتها إلى الانتحار ؟

فقالت الآنسة "برنت" بحدة :

– إنها فعلتها ، خطيئتها هي التي دفعتها إلى هذا . لو أنها كانت قد تصرفت كالفتيات المتواضعات الطيبات لما حدث لها شيء على الإطلاق .

وأدارت وجهها إلى "فيرا" .. لم يكن في عينيها أي أثر لتأنيب الضمير أو عدم

الارتياح . كانتا قاسيتين .. وجلست "**إميلي برنت**" على قمة جزيرة "**نيجر**" يكتنفها شعور بالفضيلة . ولم تعد العانس العجوز تبدو سخيفة في عيني "**فيرا**" .
لقد أصبحت فجاة .. مرعبة .

*****

غادر الدكتور "**أرمسترونج**" غرفة المائدة وعاد إلى الشرفة من جديد . وكان القاضي يجلس على أحد المقاعد وهو يحدق إلى مياه البحر . كان "**لومبارد**" و"**بلور**" جالسين يدخنان في صمت . وتردد الطبيب برهة، ثم استقرت عيناه على القاضي بإمعان . كان يريد أن يتشاور مع شخص ما . وكان في حاجة إلى تفكير القاضي المنطقي الدقيق . وعلى الرغم من ذلك تردد ، فقد يكون للقاضي عقل منظم ولكنه رجل عجوز . في هذه اللحظة شعر "**أرمسترونج**" بأن من سيرتاح إليه هو رجل عملي . وحسم رأيه .

– هل يمكنني أن أتحدث إليك برهة يا "**لومبارد**" ؟

وبهت "**لومبارد**" وقال :

– بالتأكيد .

وغادر الرجلان الشرفة . وأخذا يتمشيان في طريقهما إلى الشاطئ وقال "**أرمسترونج**" :

– إنني في حاجة إلى المشورة .

وارتفع حاجبا "**لومبارد**" وقال :

– ليس لديّ يا عزيزي أية معلومات طبيّة .

– كلا .. كلا .. أعني مشورة فيما يختص بالوضع العام .

– أوه ! هذا يختلف .

– بصراحة .. ما رأيك في هذا الموضوع ؟

وفكر "**لومبارد**" برهة قبل أن يقول :

– إنه وضع مليء بالاحتمالات .. أليس كذلك ؟

– ما رأيك فيما يختص بالمرآة ؟ هل تقبل نظرية "**بلور**" ؟

ونفث "**لومبارد**" دخان سيجارته في الهواء وقال :

– إنها محتملة جداً .. لو نظرنا إليها على حدة .

– بالضبط .

وبدا الارتياح في صوت "**أرمسترونج**" .. إن "**لومبارد**" ليس غبيًا .. ومضى "**لومبارد**" يقول :

– هذا إذا تقبلنا الفرض بأن "**روجرز**" وزوجته قد أفلحا في التخلص من آثار جريمتهما . ولا أرى ما يمنع هذا . ما رأيك فيما فعلاه بالضبط ؟ هل سمما السيدة العجوز ؟

فقال "**أرمسترونج**" ببطء :

– ربما كان الأمر أيسر من هذا . لقد سألت "**روجرز**" هذا الصباح عما إذا كانت الآنسة "**برادي**" تلك كانت تعاني مرضًا ، وكانت إجابته واضحة ، ليست في حاجة إلى تفصيلات طبيّة ، ولكن في مثل مرضها فإن أية مضاعفات للمرض تكون خطيرة .

– أي أن الأمر كان سهلاً للغاية .

– نعم .. لم يكونا في حاجة إلى عمل إيجابي . ليس سوى إهمال العلاج . وقد قضى "**روجرز**" الليل كله في البحث عن الطبيب .. وكانا واثقين بأن أحداً لن يتمكن من أن يتهمهما بالقتل . وحتى لو اتهمهما أحد فلن يثبت عليهما شيء .

ثم أضاف :

– وبالتأكيد .. فإن هذا يوضح الكثير .

– عفواً ؟

– أعني هنا في جزيرة "**نيجر**" .. هناك جرائم لا يمكن معاقبة فاعليها مثل حالة "**روجرز**" أو مثل حالة القاضي العجوز الذي ارتكب جريمته باسم القانون .

فقال "**أرمسترونج**" محتداً :

– هل تصدق تلك القصة ؟

فابتسم "**فيليب لومبارد**" وقال :

– نعم.. إني أصدقها ، لقد قتل "**وارجريف**" "**إدوارد سيتون**" على خير وجه ، ولكنه كان من المهارة إذ فعلها وهو في مقعد القضاة مرتديًا مسوحهم ، وهكذا فإنك لا تستطيع أن تعاقبه بالطرق الطبيعية .

وسطعت فكرة سريعة في ذهن "**أرمسترونج**" .

– جريمة في المستشفى . جريمة على مائدة العمليات . إنه آمن .. آمن تمامًا.

وكان "**لومبارد**" يقول وقتها :

– وهكذا فإن السيد "**أوين**" .. وجزيرة "**نيجر**" ..

وتنفس "**أرمسترونج**" بعمق وقال :

– إننا نصل إلى الحقيقة . ما الغرض من إحضارنا جميعًا إلى هنا ؟

– ما رأيك ؟

فقال "**أرمسترونج**" فجأة :

– دعنا نعد دقيقة إلى وفاة تلك المرأة . ما النظريات المحتملة ؟ لقد قتلها "**روجرز**"؛ لأنه خشي أن تعترف . الاحتمال الثاني : لقد فقدت أعصابها فانتحرت هربًا من الجريمة .

فقال "**لومبارد**" :

– أهو الانتحار إذن ؟

– ما رأيك في هذا ؟

– ربما كان الأمر كذلك حقًا لو لم تكن حدثت وفاة "**مارستون**" . انتحاران في اثنتي عشرة ساعة ، أمر لا يسهل الاقتناع به وإذا قلت إن "**أنتوني مارستون**" ذلك الثور الصغير البارد ذا العقل الصغير قد انتحر حزنًا على قتل طفلين .. حسنا .. إن هذا لمضحك .. وعلى كل ، فكيف حصل على السم ؟ فما أعرفه هو أن مادة "**سيانيد البوتاسيوم**" ليست من تلك الأشياء التي يحملها المرء معه في جيب صداره.

– لا يحمل أحد معه "**سيانيد البوتاسيوم**" إلا إذا كان ذاهبًا للقضاء على عش زنابير.

– أي بستاني الحديقة . أي أنه ليس بـ"**أنتوني مارستون**" . لقد ظللت أعتقد أن

هذه المسألة محتاجة إلى شرح . فإما أن "**أنتوني مارستون**" كان ينوي أن يقتل نفسه قبل حضوره إلى هنا وهكذا حضر إلى هنا مستعداً، وإما . . .

– وإما : ماذا ؟

– لماذا تنتظر مني أن أقولها بنفسي بينما هي على طرف لسانك . لقد قتل "**أنتوني مارستون**" بالتأكيد .

❁❁❁❁❁

وسحب الدكتور "**أرمسترونج**" نفساً عميقًا ثم قال :

– وماذا عن السيدة "**روجرز**" ؟

فقال "**لومبارد**" ببطء :

–.يمكنني أن أصدق بصعوبة مسالة انتحار "**أنتوني مارستون**" إذا لم تكن السيدة "**روجرز**" قد ماتت ، وقد أصدق بسهولة أن السيدة "**روجرز**" قد انتحرت ، لو لم يكن "**مارستون**" قد مات . وقد أصدق أن "**روجرز**" قد أبعد زوجته من الطريق.. لو لم يكن "**مارستون**" قد توفي فجاة .. ولكننا في حاجة إلى نظرية تفسر وقوع وفاتين متتاليتين .

– قد يمكنني أن أساعدك في تكوين هذه النظرية .

ثم أخبر "**لومبارد**" بما قاله له "**روجرز**" عن اختفاء التمثالين .

فقال "**لومبارد**" :

– نعم .. التماثيل الخزفية .. من المؤكد أنها كانت عشرة في أثناء تناولنا طعام العشاء وأنت تقول إنها قد أصبحت الآن ثمانية .

وأنشد الدكتور "**أرمسترونج**" :

– ذهب عشرة أطفال للعشاء .

وغص أحدهم فمات فلم يبق منهم سوى تسعة .

وسهر تسعة أطفال إلى وقت متأخر .

ونعس واحد منهم فلم يبق سوى ثمانية .

وحدق الرجلان بعضهما إلى بعض .. وألقى "**فيليب لومبارد**" بسيجارته بعيداً وقال :

– الأمر من اللعنة بحيث لا يمكن أن يكون مصادفة . لقد مات "**أنتوني**" من "**إسفكسيا**" أو غصة في الليلة الماضية عقب العشاء ، ونعست السيدة "**روجرز**" فماتت .

– وبعد ؟

– أي أننا نوع آخر من الأطفال ، أطفال ستبتلعهم الدوامة ، أو .. المجهول.. السيد "**أ.ن. أوين** " .

"**أوين**" .. مجنون خطير مجهول .

وتنهد "**أرمسترونغ**" بارتياح وقال :

– آه ! إنك توافقني ، ولكنك ترى ما يتضمنه هذا ، لقد أقسم "**روجرز**" إنه ليس فوق الجزيرة سوانا .

– إن "**روجرز**" لمخطئ ، أو من المحتمل أن يكون كاذبًا .

وهزَّ "**أرمسترونغ**" رأسه وقال :

– لا أعتقد أنه يكذب .. إن الرجل مذعور ، لقد أخرجه الذعر عن وعيه .

وأومأ "**لومبارد**" برأسه وقال :

– لن يأتي القارب هذا الصباح . إن ترتيبات السيد "**أوين**" تنفذ حرفيًّا .. يجب أن تعزل الجزيرة حتى يتم السيد "**أوين**" عمله .

وشحب وجه "**أرمسترونغ**" وقال :

– أنت تدرك أن الرجل قد يكون مخبولاً خطيرًا ..

وقال "**لومبارد**" وفي صوته رنة جديدة :

– هناك شيء واحد لم يدركه السيد "**أوين**" .

– وما هو ؟

– إن الجزيرة ليست إلا صخرة جرداء ، ولن نحتاج لكشف حقيقتها إلا لوقت قصير ، وسرعان ما سنعثر على السيد "**أوين**" المحترم .

فقال "**أرمسترونغ**" بحرارة :

– سيكون خطيرًا .

فضحك "**فيليب لومبارد**" وقال :

– خطير ، من ذا الذي يخشى ذلك الذئب الكبير المخبول ؟ سأكون أنا أخطر منه عندما أمسك به.

وتوقف قبل أن يقول :

– من المستحسن أن نستدعي "**بلور**" لمساعدتنا ، سيكون فعّالاً في هذا العمل، من الأفضل ألا تخبر المرأتين . أما عن الآخرين فإن الجنرال "**مكارثر**" من الممكن إخباره ، أما القاضي الكهل فلن تساعده قواه .. نحن الثلاثة قادرون على هذا العمل .

- 8 -

كان من السهل ضم "**بلور**" إليهما ، فقد أبدى موافقته السريعة على آرائهما قائلاً:

– إن ما قلته عن هذه التماثيل الخزفية يا سيدي يغير من الأمر تمامًا. إن هذا لجنون! ليس هناك سوى تفسير واحد في رأيي هو أن "**مارستون**" بعد أن استمع إلى الأسطوانة ليلة أمس انصاع للتحذير وانتحر . كما خضع له "**روجرز**" وقتل زوجته . وكان ذلك مصداقًا لخطة "أ.ن.أ." .

فهزّ "**أرمسترونج**" رأسه رفضًا ، وأعاد تأكيد مسألة "**السيانيد**" فوافق "**بلور**" قائلاً:

– نعم ، لقد نسيت هذا ، ليس من الطبيعي أن يحمل الإنسان معه "**السيانيد**" . ولكن كيف وصل "**السيانيد**" إلى الشراب يا سيدي؟

فقال "**لومبارد**" :

– لقد كنت أفكر في هذا. لقد تناول "**مارستون**" كمية كبيرة من الشراب ، ومضت فترة بين تناوله آخر كأس وانتهائه من الكأس التي سبقتها .. وفي هذه الأثناء كانت الكأس موضوعة على المائدة على الرغم من أنني لست على ثقة كاملة بذلك، فإنني أظن أنه كان على تلك المائدة الصغيرة المجاورة للنافذة وكانت

مفتوحة. وكان بإمكان أي شخص أن يضع السيانيد خلسة في الكأس .

فقال "**بلور**" :

– دون أن يراه أحد منا يا سيدي ؟

– لقد كنا جميعًا مشغولين بأنفسنا .

وقال "**أرمسترونج**" ببطء :

– هذا حق ، لقد هوجمنا جميعًا. كنا ندور وندور حول الغرفة نتناقش ، ثائرين ومشغولين بأنفسنا ، أعتقد أنه كان من الممكن أن يحدث ذلك .

فهز "**بلور**" كتفيه وقال :

– الحقيقة إذن أن هذا كان يجب أن يحدث .. والآن يا سادة دعونا نبدأ العمل. هل مع أحد منكم مسدس ؟ أعتقد أن هذا أكثر من أن نامله .

فقال "**لومبارد**" :

– عندي واحد .

ثم ربت جيبه . واتسعت عينا "**بلور**" بصوت غير عادي .

– أتحمله معك دائماً يا سيدي ؟

– دائمًا . لقد ترددت على أماكن خطرة كثيرة كما تعلم .

– أوه ! من المحتمل أنك لم تكن في مكان في مثل خطورة هذا المكان .. لو أن أي مجنون مختبئ في هذه الجزيرة فلابد أن معه بندقية ، بالإضافة إلى سكين أو خنجر ، أو ما شابه ذلك .

وسعل "**أرمسترونج**" وقال :

– قد تكون مخطئًا في هذا يا "**بلور**" .. كثير من المجانين مسالمون للغاية .

فقال "**بلور**" :

– لا أعتقد أن هذا المجنون من هذا النوع يا دكتور "**أرمسترونج**" .

وبدأ ينفذ الرجال الثلاثة رحلتهم حول الجزيرة .

وكانت المهمة سهلة ، لم يكن في الجزيرة أشجار أو كهوف كثيرة، ووصلوا في بحثهم إلى النقطة التي كان يجلس عندها الجنرال "**مكارثر**" . ولم يلتفت الرجل إلى اقترابهم منه وقال له "**بلور**" :

– مكان هادئ ، ذلك الذي اخترته لنفسك يا سيدي .

– لم يعد في الوقت الكثير .. لم يعد في الوقت الكثير .. وأنا في الحقيقة يجب أن أصر على ألا يزعجني أحد .

– إننا لا نزعجك يا سيدي . إننا فقط نقوم بجولة في الجزيرة ، لقد طاف بذهننا أن أحداً يختبئ في الجزيرة .

– إنك لا تفهم ، إنك لا تفهم على الإطلاق . انصرف من فضلك .

وتراجع "**بلور**" وقال عندما انضم إلى زميليه الآخرين .

– إنه مجنون ، ليس من المفيد أن نتحدث إليه .

فقال "**لومبارد**" بفضول :

– ماذا قال ؟

وهز "**بلور**" كتفيه وقال :

– شيء عن ضآلة الوقت الباقي وعن رغبته في عدم إزعاجه .

وقطب الدكتور "**أرمسترونغ**" جبينه وقال :

– إنني لأتعجب الآن !!

*****

وانتهى البحث خلال الجزيرة . ووقف الرجال الثلاثة على قمة الجزيرة ينظرون إلى الشاطئ الآخر . لم يكن في الأفق أية قوارب . وكانت الريح تشتد .

وقال "**لومبارد**" :

– ليس هناك أية قوارب في الأفق . هناك عاصفة تقترب . من اللعنة الا نستطيع رؤية الأرض من هنا ، لكنا لو أشرنا إليها أو فعلنا أي شيء من هذا القبيل .

فقال "**بلور**" :

– يجب أن نوقد ناراً للإشارة هذه الليلة .

– العن شيء في الأمر أن يبدو كله مرتباً .

– كيف ؟

– كيف لي أن أعلم ؟ ربما كان علينا أن ننتقل إلى هنا ؛ ولذا فلن يلقوا بالاً لأي إشارات منا . ومن المحتمل أن القرية على علم بأن هنا حفلة .

وقال "**بلور**" متشككًا :

– أتعتقد أنهم تقبلوا هذا ؟

فقال "**لومبارد**" بجفاف :

– إن هذا أسهل على التصديق من الحقيقة . أتظن أن القرية تقبل أن تقفر الجزيرة قبل أن ينتهي السيد "**أوين**" المجهول هذا من قتل ضيوفه .. أتعتقد هذا ؟

وقال "**أرمسترونج**" :

– إنني أتعجب أين يكون قد اختفى ؟

فقال "**بلور**" :

– ربما توجد حفرة في التل الصخري .

فقال "**لومبارد**" :

ليس هناك سوى مكان واحد يمكن أن توجد فيه حفرة . وإذا أمكنكم أن تمسكوا لي بحبل فبإمكاني أن أتدلى عليه وأبحث الأمر .

فقال "**بلور**" :

– حسنًا ، سأمضي للبحث عن حبل .

فقال "**لومبارد**" :

– إنك صامت تمامًا يا دكتور . فيم تفكر ؟

– إنني أفكر بالضبط في مقدار جنون "**مكارثر**" الكهل .

✽✽✽✽✽

ظلت "**فيرا**" قلقة طيلة الصباح .. وتجنبت "**إميلي برنت**" بنوع من الاشمئزاز . وكانت الآنسة "**برنت**" نفسها قد اتخذت لها مقعدًا حول ركن من المنزل تجنبًا للريح . وجلست هناك تطرز .

وفي الشرفة الرئيسية جلس السيد "**جستيس وارجريف**" على كرسي هزاز .

وكان رأسه مختفيًا بين كتفيه .

وسارت "فيرا" في طريقها إلى شاطئ البحر .. إلى الطرف الآخر من الجزيرة حيث يجلس رجل كهل يحدق إلى الأفق .

وتحرك الجنرال "مكارثر" عند اقترابها والتفت برأسه نحوها .. وبدا في نظرته مزيج غريب من التساؤل والترقب . وأقلقتها نظرته . وظل يحدق إليها بإصرار دقيقة أو اثنتين .

وفكرت في نفسها : « يا للغرابة ، كما لو كان يعرف »!

وقال هو :

– آه ! إنه أنت .. هل أتيت ؟

وجلست "فيرا" إلى جواره وقالت :

– أتحب الجلوس هنا والتحديق إلى البحر ؟

وهز رأسه بخفة ، وقال :

– نعم .. لأمر ما . إنه في رأيي أنسب مكان للانتظار .

فقالت "فيرا" محتدة :

– للانتظار ؟ ما الذي تنتظره ؟

فقال بلطف :

– النهاية ، ولكني أعتقد أنك تعرفين هذا ، أليس كذلك ؟ إنه حقيقي ، أليس كذلك ؟ إننا كلنا ننتظر النهاية .

وقالت مهتزة :

– ماذا تعني ؟

– لن يغادر أي منا هذه الجزيرة ، هذه هي الخطة .. إنك تعرفينها جيداً بالتأكيد ولكن الذي لا تستطيعين فهمه هو الخلاص .

فقالت متعجبة :

– الخلاص ؟!

– نعم ، إنك صغيرة ، وبالتأكيد لم تصلي إلى هذا بعد ، ولكنه آت .

– إنني لا أفهمك .

– لقد أحببت "**ليزلي**" .. أحببتها جدًا .. وكنت جدّ فخورًا بها .. كانت جميلة جدًا ومرحة .. نعم .. أحببتها ولهذا فعلت ما فعلت .

– أتعني ؟

فهز الجنرال "**مكارثر**" رأسه برفق وقال :

– ليست هناك فائدة تعود من الأفكار الآن بينما نحن جميعًا في سبيلنا إلى الموت. لقد أرسلت "**ريتشموند**" إلى حتفه . أعتقد أن هذا بطريقة ما يعتبر جريمة.. جريمة . وأنا الذي عشت طيلة حياتي أخدم القانون . ولكن الأمر لم يبد هكذا وقتها . لم يخالجني أي ندم ، ولكن فيما بعد .

– حسنًا ، فيما بعد ؟

– لا أدري .. لا أدري ، كان الأمر يختلف تمامًا كما ترين ، لا أدري إن كانت "**ليزلي**" قد خمنت .. لا أعتقد هذا ، ولكنني لم أفهمها بعد ذلك قط .. ثم ماتت.. وأصبحت وحيداً .

– وحيداً .. وحيداً .

– ستكونين مسرورة أنت الأخرى عندما تحين النهاية .

ونهضت "**فيرا**" وقالت محتدة :

– لا أعلم ماذا تعني .

– إنني أعرف يا طفلتي .. إنني أعرف .

وعاد الجنرال "**مكارثر**" ينظر إلى البحر فلم يعد هناك داع لوجودها .

وقال بلطف ونعومة :

– "**ليزلي**" .

❁❁❁❁❁

عندما عاد "**بلور**" من المنزل حاملاً على ذراعه لفة من الحبال وجد "**أرمسترونج**" واقفًا هناك يحدق إلى أسفل .

وقال "**بلور**" لاهثًا :

– أين السيد "**لومبارد**" ؟

فقال "**أرمسترونج**" بلا اكتراث :

– ذهب يتحقق من بعض نظرياته ، سيعود في ظرف دقيقة . انظر إليّ يا "**بلور**" .. إنني قلق .

– إننا كلنا أكثر قلقًا .

– بالتأكيد .. بالتأكيد .. إنني لا أعني هذا . إنني أفكر في "**مكارثر**" الكهل .

– ماذا عنه يا سيدي ؟

– بما أننا نحن نبحث عن مجنون .. ما رأيك في "**مكارثر**" ؟

– أتعني أنه سفاح ؟

– لم أكن لأقول هذا .. ولا للحظة واحدة . ولكنني لست بالتأكيد إخصائيًا في الأمراض العقلية .. إنني لم أتبادل في الحقيقة أي كلام معه .. لم أدرسه من هذه الناحية .

– قد يكون متعب الأعصاب .. ولكن لا يمكن أن أقول ..

– من المحتمل أنك على حق . لعنة الله على الأمر كله ، لابد أن هناك شخصًا مختبئًا في الجزيرة . آه ! ها هو "**لومبارد**" آت .

وربطا الحبل بعناية .

وقال "**لومبارد**" :

– سأساعد نفسي بقدر الإمكان ، وراقبا أنتما الحبل جيدًا .

وبعد دقيقتين ، وبينما كانا واقفين معًا يرقبان "**لومبارد**" قال "**بلور**" :

– إنه ينزل على الحبل كقط ، أليس كذلك ؟

كان هناك شيء غريب في صوته .

وقال الدكتور "**أرمسترونج**" :

– أعتقد أنه كان يتسلق الجبال وقتًا ما .

– ربما .

ولزما الصمت قليلاً ثم قال رجل الشرطة السابق :

– أتعرف فيم أفكر ؟

– في ماذا ؟

– إنه مخطئ !

– في أي شيء ؟

– لا ادري بالضبط ، ولكني لا أثق به البتة .

– أعتقد أنه عاش حياة مليئة بالمخاطر .

– أراهن على أنه يحرص على إخفاء بعض مغامراته في الظلام.. هل تصادف أن أحضرت معك مسدساً يا دكتور ؟

– أنا ، بالله ، كلا . ولماذا أحضر مسدساً ؟

– ولماذا يحضره السيد "**لومبارد**" ؟

– أعتقد أنها عادة .

وحدثت هزة مفاجئة في الحبل ، وانشغلت أيديهما لحظة . وعندما فرغا قال الكهل :

– هناك كثير من العادات ، قد يأخذ السيد "**لومبارد**" مسدساً معه في الأماكن الخطيرة ، ولكن العادة لن تجعله يحضر مسدساً معه إلى هنا . إن شخصيات الروايات هم فقط الذين يحملون معهم المسدسات أينما ذهبوا .

وهزّ الدكتور "**أرمسترونج**" راسه في حيرة ، ومالا ليرقبا تقدم "**لومبارد**" في مهمته. كان يقوم ببحث دقيق وكان بإمكانهما أن يريا مدى عقم هذا البحث .

وسرعان ما صعد "**لومبارد**" إلى قمة التل ومسح العرق من فوق جبينه وقال :

– حسناً ، لا شيء هنا . إما أنه في المنزل، أو أنه لا يوجد هناك أحد على الإطلاق.

❁❁❁❁❁

وكان من السهل تفتيش المنزل . وبدأوا يفتشون المباني الخارجية القليلة وبعدها استداروا إلى المبنى الرئيسي . وبعد أن انتهوا من تفتيش الطابق السفلي ، وبينما هم في طريقهم إلى الطابق العلوي حيث غرف النوم رأوا من نافذة السلم "**روجرز**"

يحمل صينية عليها كؤوس من الشراب ويتجه بها إلى الشرفة فقال "**لومبارد**" :

– يا له من حيوان عجيب ذلك الخادم الماهر ! إنه يمضي في عمله باتزان تام.

فقال "**أرمسترونج**" :

– إن "**روجرز**" ساقٍ من الطراز الأول .

وقال "**بلور**" :

– وزوجته طاهية ممتازة هي الأخرى .. ذلك العشاء .. في ليلة الأمس.

وتفرقوا إلى غرف النوم . وبعد خمس دقائق التقوا في الطابق السفلي . وقرروا أن ليس هناك من يختبئ في المنزل .. وما من مكان يصلح للاختباء .

وقال "**بلور**" :

– هناك سلم صغير .

فقال "**أرمسترونج**" :

– إنه يؤدي إلى غرف الخدم .

فقال "**بلور**" :

– لابد أن هناك مكانًا تحت السقف .. من أجل التخزين وخزانات المياه .. وغير ذلك .. إنه أحسن مكان .. بل إنه المكان الوحيد .

وفي هذه اللحظة سمعوا صوتًا يأتي من أعلى .

صوت خافت لوقع أقدام ، وسمعوا الصوت جميعًا .

وأمسك "**أرمسترونج**" بذراع "**بلور**" ، ورفع "**لومبارد**" إصبعه محذرًا وهو يقول:

– صه .. هدوء !

وتناهى الصوت إلى أسماعهم مرة ثانية . كان صوت شخص ما يتحرك فوقهم خلسة وبرفق . وهمس "**أرمسترونج**" قائلاً :

– إنه الآن في حجرة النوم نفسها حيث يرقد جسد السيدة "**روجرز**" .

ورد "**بلور**" قائلاً وهو يهمس أيضًا :

– بالتأكيد ، إنه أفضل مكان للاختباء يمكن اختياره؛ إذ لا يذهب أحد إلى هناك أبدًا ، والآن .. الزموا الهدوء بقدر إمكانكم.

وتسللوا خلسة إلى الطابق العلوي .

وتوقفوا برهة في الممر الصغير الموجود أمام غرفة النوم . نعم لقد كان هناك شخص ما بداخل الغرفة . وسمعوا صوتًا خافتًا بالداخل .

وهمس "بلور" :

– والآن !

وفتح الباب على مصراعيه ثم دخل يتبعه الآخران .

ووقف الثلاثة بلا حراك . ولم يكن في الحجرة سوى " روجرز" الذي كان يقف ويداه محملتان بالملابس.

*****

وتمالك "بلور" نفسه ثم قال :

– معذرة يا "روجرز" . لقد سمعنا صوت شخص يتحرك هنا واعتقدنا .. حسنًا..

وتوقف عن الحديث . وقال "روجرز" :

– معذرة يا سادة ، لقد كنت أنقل حاجاتي ، فلقد ظننت أنه لا مانع هناك من أن أنتقل إلى إحدى حجرات الضيوف بالطابق الأرضي .. الحجرة الصغيرة.

كان "روجرز" يوجه حديثه إلى "أرمسترونج" الذي قال له :

– بالتأكيد ، بالتأكيد يا "روجرز" .. استمر في عملك .

وكان "أرمسترونج" يتحاشى النظر إلى الجسد الملفوف بالملاءة والمسجى على السرير .

وقال "روجرز" :

– شكرًا لك يا سيدي .

وخرج من الغرفة ويداه محملتان بما يخصه من أشياء متجهًا إلى الطابق السفلي . وتحرك "أرمسترونج" نحو السرير ورفع الملاءة ونظر إلى الوجه الهادئ المسالم للمرأة الميتة . لم تكن على وجهها الآن أية علامات للخوف ، وقال "أرمسترونج" :

– بودي لو كانت معي أدواتي هنا ، لقد كنت أود معرفة الجرعة التي تناولتها.

واستدار إلى الرجلين الآخرين وقال :

– دعونا ننته من هذا الأمر . إنني على يقين من أننا لن نعثر على شيء .

وقال "**بلور**" :

– إن ذلك الرجل يتحرك بهدوء مريب ، لقد رأيناه في الحديقة منذ دقيقة أو دقيقتين مضتا ولم يسمعه أحدنا وهو يصعد إلى الطابق العلوي .

وقال "**لومبارد**" :

– وأعتقد أن هذا هو السبب في أننا افترضنا وجود غريب هناك .

واختفى "**بلور**" في الظلمة الحالكة، وأخرج "**لومبارد**" من جيبه مصباحًا صغيراً وتبعه . وفي غضون خمس دقائق كان الرجال الثلاثة يقفون في أحد الممرات ينظرون بعضهم إلى بعض . كانت تعلوهم القذارة ، وخيوط العنكبوت تلتصق بوجوههم المتجهمة . لم يكن هناك أحد على الجزيرة سواهم .

- 9 -

قال "**لومبارد**" ببطء :

– هكذا كنا مخطئين تمامًا . بنينا حلمًا مخيفًا من مخيلاتنا ليس لشيء سوى حدوث وفاة شخصين .

فقال "**أرمسترونج**" في أسى :

– وعلى الرغم من ذلك فإن الأمر يحتمل النقاش . وإنني طبيب .. وأعرف شيئًا ما عن جرائم الانتحار . إن "**أنتوني مارستون**" ليس من النوع الذي ينتحر .

فقال "**لومبارد**" في شك :

– أعتقد أن الأمر لا يمكن أن يكون حادثًا .

فقال "**بلور**" مستهزئًا وغير مصدق .

– حوادث عجيبة وغريبة .

وتوقفوا قليلاً ثم عاد "**بلور**" يقول :

– أما عن المرأة . .

ثم توقف ثانية .

– السيدة "**روجرز**" ؟

– نعم ، أليس من المحتمل أن وفاتها ليست سوى حادثة ؟

فقال "**فيليب لومبارد**" :

– حادثة ؟ كيف ؟

وبدا "**بلور**" محرجًا شيئًا ما .. وازداد احمرار وجهه .. وقال وهو يدغم الكلام:

– انتظر يا دكتور .. لقد أعطيتها مادة طبية .. كما تعلم .

وحدق إليه "**أرمسترونج**" وقال :

– مادة طبية ؟ ماذا تعني ؟

– في الليلة الماضية .. لقد قلت بنفسك إنك أعطيتها دواء لتنام .

– آه ! تعني هذا ، نعم .. منوم غير ضار .

– ما هو بالضبط ؟

– لقد أعطيتها جرعة مخفضة من الـ"**تريونال**" .. مزيج غير ضار بالمرة .

وازداد احمرار وجه "**بلور**" وقال :

– استمع إليّ .. لا داعي لتعقيد الأمور .. ألم تعطها جرعة مضاعفة ؟

فقال "**أرمسترونج**" بغضب :

– لا أعرف ما الذي تعنيه ؟

– من المحتمل أن تكون قد أخطأت ، أليس كذلك ؟ إن هذه الأشياء كثيراً ما تحدث .

فقال "**أرمسترونج**" محتدًا :

– إنني لم أفعل شيئًا من هذا القبيل . إن الاقتراح تافه .

وتوقف ليضيف بلهجة باردة لاذعة :

– أو تعني أنني قد أعطيتها جرعة مضاعفة عن قصد ؟

فقال "**فيليب لومبارد**" سريعًا :

– استمعا إليّ أنتما الاثنان .. يجب أن نحتفظ بتوازننا .. لا تجعلانا نبدأ نوجه التهم إلى بعضنا البعض .

فقال "**بلور**" فجأة :

– إنني قلت فقط إن الطبيب ربما يكون قد ارتكب خطأ .

فبذل الطبيب جهداً كي يبتسم وقال :

– إن الأصدقاء لا يستطيعون ارتكاب أخطاء من هذا القبيل يا صديقي .

فقال "**بلور**" :

– لن يكون هذا أول خطأ ترتكبه .. إذا كان علينا أن نصدق تلك الأسطوانة .

وشحب وجه "**أرمسترونج**" . فقال "**لومبارد**" مسرعًا وفي صوته نبرة غاضبة :

– ماذا تقصد من جعل نفسك مثاراً للمضايقات ؟ إننا كلنا في المأزق نفسه، يجب أن نتحد معًا ، وماذا عن تهمتك أنت ؟

وخطا "**بلور**" إلى الأمام وقد تقلصت قبضتاه وقال بصوت رقيق :

– تهمة خبيثة ! إنها كذبة حمقاء ، حاول أن تسكتني يا سيد "**لومبارد**" ، ولكن هناك أشياء أود معرفتها ، وواحد منها هو أنت .

وارتفع حاجبا "**لومبارد**" وقال :

– أنا ؟

– نعم ، أريد أن أعرف السبب في إحضارك مسدسًا معك خلال زيارة اجتماعية لطيفة .

– تريد أن تعرف .. أليس كذلك ؟

– بلى ، أريد أن أعرف يا سيد "**لومبارد**" .

فقال "**لومبارد**" على غير توقع :

– أتعرف يا سيد "**بلور**" أنك لست غبيًا كما يبدو عليك ؟

– هذا محتمل . ماذا عن المسدس ؟

فابتسم "**لومبارد**" وقال :

– لقد أحضرته؛ لأني توقعت أن أتعرض لبعض المتاعب .

فقال "**بلور**" متشككًا :

– إنك لم تخبرنا بهذا في الليلة الماضية .

ثم هز رأسه ، وعاد يقول في إصرار :

– لقد كنت تخفي عنا أسراراً .

– نعم ، إلى حد ما .

– حسناً ، هيا اكشف الستر .

فقال "**لومبارد**" في بطء :

– لقد تركتكم كلكم تعتقدون أنني دعيت إلى هنا بالطريقة نفسها التي جاء بها معظم الباقين. إن هذا ليس صحيحاً .. في الحقيقة قد اتصل بي يهودي صغير الحجم ، اسمه "**موريس**" ، وعرض عليّ مائة جنيه كي أحضر إلى هنا وأراقب الموقف قائلاً إن لي سمعة طيبة عن حسن التصرف في المواقف الحرجة.

فقال "**بلور**" بصبر نافد :

– حسناً .

– هذا كل ما هنالك .

فقال "**أرمسترونج**" :

– ولكن من المؤكد أنه أخبرك بما هو أكثر من هذا .

– كلا .. لم يفعل ، لقد أطبق فمه تماماً ، وكان بإمكاني أن أقبل الأمر أو أرفضه .. كانت هذه هي كلماته ، وكنت مفلساً فقبلت الأمر .

وبدا عدم الاقتناع على "**بلور**" .. وقال :

– ولماذا لم تخبرنا بكل هذا بالأمس ؟

– يا عزيزي ، وكيف لي أن أعرف أن ليلة الأمس لم تكن هي الموقف الذي كان عليّ أن أواجهه ؟

فقال الدكتور "**أرمسترونج**" :

– ولكن الآن .. هل تعتقد أن الأمر قد اختلف ؟

وتغير وجه "**لومبارد**" إذ اسود وتصلب وقال :

– نعم .. إنني أومن الآن أنني أركب القارب نفسه مع الآخرين. لقد كانت تلك الجنيهات المائة هي قطعة الجبن التي جذبني بها السيد "**أوين**" إلى المصيدة مع باقي المجموعة .

ثم أضاف بهدوء :

– إذ إننا في مصيدة .. أقسم على ذلك .. وفاة السيدة "**روجرز**" ! ووفاة "**أنتوني مارستون**" ! واختفاء تمثالي الطفلين من فوق مائدة الطعام ! نعم . إن يدي السيد "**أوين**" لواضحتان للعيان . ولكن أين يوجد السيد "**أوين**" نفسه بحق السماء ؟ !

ومن أسفل جاء إليهم صوت البوق يدعوهم لتناول الغداء .

*****

كان "**روجرز**" واقفًا إلى جوار باب غرفة المائدة . وعندما نزل الرجال الثلاثة على السلم خطا إلى الأمام خطوتين بصوت منخفض قلق .

– آمل أن يكون الغداء مرضيًا . يوجد لحم بارد ، ولسان بارد ، وقد سلقت بعض البطاطس ، كما يوجد أيضًا جبن وبعض البسكويت وفاكهة معلبة .

وقال "**لومبارد**" :

– إن هذا يبدو على ما يرام. إن المخازن ممتلئة إذن .

ودخلت الآنسة "**برنت**" الغرفة . كانت تعيد لف كرة من خيوط الصوف سقطت منها على الأرض ، وقالت وهي تجلس :

– لقد أخذ الجو يتغير .. فاشتدت الريح وارتفعت الأمواج .

وجاء السيد "**جستيس وارجريف**" .. يسير بخطى متئدة .. ورمق الجالسين إلى المائدة بنظرات سريعة من تحت جفنيه .. ثم قال :

– لقد قضيتم صباحًا يبعث على النشاط .

كان في صوته رنة خفيفة من المتعة الشيطانية .

وجاءت "**فيرا**" بسرعة ، وقد تهدجت أنفاسها ، وقالت بسرعة :

– أرجو ألا أكون قد تأخرت عنكم .

فقالت "**إميلي برنت**" :

– إنك لست آخر القادمين ، فإن الجنرال لم يأت بعد .

وجلسوا حول المائدة .

وقال "روجرز" لـ "إميلي برنت" :

– هل ستبدأون يا سيدتي أم ستنتظرون ؟

فقالت "فيرا" :

– إن الجنرال "مكارثر" يجلس على شاطئ البحر ، لا أعتقد أنه قد سمع صوت البوق . إنه لغامض شيئًا ما هذا الصباح .

فقال "روجرز" مسرعًا :

– سأذهب لأخبره بأن موعد الطعام قد حان !

فقفز الدكتور "أرمسترونج" وقال :

– سأذهب أنا وابدأوا أنتم غداءكم .

وغادر الغرفة ، ومن خلفه جاء صوت "روجرز" يقول :

– أتأخذين لحمًا باردًا أم لسانًا باردًا يا سيدتي ؟

*****

وبدا أن الأشخاص الخمسة الجالسين حول المائدة يجدون صعوبة في تبادل الحديث .. وفي الخارج كانت هبات من الريح تزمجر ثم تخفت .

وارتجفت "فيرا" قليلاً ثم قالت :

– هناك عاصفة توشك أن تهب .

وحاول "بلور" أن يسهم في دفع دفة الحديث ، فقال :

– كان هناك رجل عجوز في القطار القادم من "بليموث" بالأمس وظل يقول إن عاصفة ستهب . إني لأعجب كيف يعرف الجو .. هؤلاء البحارة العجائز .

وأخذ "روجرز" يطوف بالمائدة يجمع أطباق اللحم الفارغة ..

وفجأة توقف حاملاً الأطباق على يديه ، وقال بصوت خائف غريب :

– هناك شخص قادم يجري نحونا .

وكان بإمكانهم كلهم أن يسمعوا وقع أقدام تجري في الشرفة .

وفي هذه اللحظة عرفوا .. عرفوا دون أن يخبرهم أحد ..

وكما لو كان باتفاق عام ، نهضوا كلهم واقفين .. ووقفوا ينظرون إلى الباب.
وظهر الدكتور "أرمسترونج" وهو يلهث بصعوبة وقال :
– الچنرال "مكارثر" ..
– مات ؟ !
خرجت الكلمة باندفاع من فم "فيرا" .
فقال "أرمسترونج" :
– نعم ، لقد مات .
وران صمت .. صمت طويل .
ونظر سبعة أشخاص بعضهم إلى بعض دون أن يجدوا كلمة يقولونها ..

وبينما كانت جثة الرجل العجوز تدخل من باب البيت محمولة والعاصفة المنتظرة تهب ، كان الآخرون واقفين في الردهة .
وبينما كان "بلور" و"أرمسترونج" يصعدان السلم بحملهما استدارت "فيرا" فجأة وأسرعت إلى غرفة الطعام الخالية .
كانت الغرفة كما تركوها .. وأطباق الحلوى موضوعة على مائدة جانبية استعداداً لتقديمها . ومضت "فيرا" إلى المائدة ، وبعد دقيقة أو اثنتين دخل "روجرز" الغرفة بهدوء وبهت عندما رآها .. ثم بدا في عينيه سؤال ، وقال لها:
– أوه يا آنسة ! لقد حضرت كي أرى ..
وقالت "فيرا" في صوت خشن عال أدهشها هي نفسها :
– إنك على حق يا "روجرز" ، انظر بنفسك ، ليس هناك سوى سبعة ..

*****

سجي الچنرال "مكارثر" على سريره .
وبعد أن فحصه "أرمسترونج" فحصاً أخيراً غادر الغرفة ونزل إلى الطابق السفلي ، حيث وجد الآخرين متجمعين في غرفة الاستقبال .
كانت الآنسة "برنت" تطرز .. و"فيرا كليثون" واقفة تطل من النافذة على

العاصفة ، و"**بلور**" جالس في مقعد واضعًا راحتيه على ركبتيه .. و"**لومبارد**" يذرع الغرفة دون توقف ، والسيد "**وارجريف**" يجلس في نهاية الغرفة على كرسي كبير وعيناه نصف مغلقتين .

وفتح عينيه عندما دخل الطبيب الغرفة ، وقال بصوت واضح حاد النبرات:

– حسنًا يا دكتور .

كان "**أرمسترونغ**" شاحب الوجه جدًّا .. وقال :

– ليس هناك أي احتمال لأزمة قلبية أو أي شيء من هذا القبيل. لقد ضُرب "**مكارثر**" بشيء ثقيل على مؤخرة رأسه .

وعلت همهمة .. ولكن صوت القاضي الواضح ارتفع من جديد يقول :

– هل عثرت على السلاح المستخدم ؟

– لا .

– وعلى الرغم من هذا، هل أنت واثق بما قلته ؟

– كل الثقة .

– إننا نعرف بالضبط أين نقف . ولم يعد هناك أي شك فيمن يتولى مسؤولية الموقف الآن .

لقد أمضى "**وارجريف**" الصباح بأكمله جالسًا في الشرفة وقد عزفت نفسه عن أي نشاط، ولكنه الآن يتولى القيادة بسهولة استقاها من مرانه الطويل عليها.. إنه يرأس القاعة الآن .. وقال:

– بينما كنت أجلس في الشرفة هذا الصباح أيها السادة كنت أرقب ما تفعلون.. لم يكن غرضكم ليحتمل الكثير من الشكوك .. لقد كنتم تبحثون عن قاتل مجهول !

فقال "**لومبارد**" :

– تمامًا ياسيدي .

– لقد وصلتم دون شك إلى النتيجة نفسها التي توصلت إليها وهي بالتحديد .. أن وفاة "**أنتوني مارستون**" والسيدة "**روجرز**" لم تكن قضاء وقدرًا أو انتحارًا . ولا شك في أنكم توصلتم إلى نتيجة معينة حول غرض السيد "**أوين**" من إحضارنا

كلنا إلى هذه الجزيرة .

فقال "**بلور**" بصوت خشن :

- إنه مجنون مجنون .. مخبول .

- هذا مؤكد للغاية ، ولكنه لا يؤثر في النتيجة ، وإن شاغلنا الأساسي هو .. إنقاذ حياتنا .

فقال "**أرمسترونج**" في صوت مهزوز :

- ليس هناك أحد غيرنا على الجزيرة .. صدقني .. لا أحد .

- حقًّا ، لا يوجد أحد بالمعنى الذي تقصده . لقد توصلت إلى هذه النتيجة مبكرًا هذا الصباح . وكان في إمكاني أن أخبركم أن بحثكم لا جدوى منه . وعلى الرغم من هذا فإنني أميل ميلاً قويًّا إلى أن السيد "**أوين**" «إذا أعطيناه هذا الاسم الذي اتخذه لنفسه» يقيم في الجزيرة ، هذا مؤكد . لا توجد سوى طريقة واحدة لتنفيذ خطته من عقاب بعض المذنبين الذين لا تندرج ذنوبهم تحت طائلة القانون ، ولا يمكن أن يكون السيد "**أوين**" قد حضر إلى الجزيرة إلا بطريقة واحدة ...

إنه لأمر غاية في الوضوح .. إن السيد "**أوين**" واحد منا ..

- أوه ! كلا ! كلا ! كلا .

كان هذا هو صوت "**فيرا**" التي انفجرت فيما يشبه الأنين .. ونظر القاضي إليها بحدة وقال :

- يا عزيزتي ، إن هذا ليس وقتًا مناسبًا لتجنب الحقائق .. إننا كلنا في خطر شديد .

إن السيد " **أ. ن. أوين**" هو واحد منا ، نحن لا نعلم أين هو ، ومن الأشخاص العشرة الذين أتوا إلى هذه الجزيرة، هناك ثلاثة أصبح موقفهم واضحًا تمامًا . إن "**أنتوني مارستون**" والسيدة "**روجرز**" والجنرال "**مكارثر**" ليست عليهم أية شبهة. ويبقى سبعة منا ، ومن هؤلاء السبعة هناك واحد تنحصر فيه الشبهات .

وتوقف ونظر حوله ثم قال :

- هل توافقونني على هذا الرأي ؟

فقال "**أرمسترونج**" :

– إنه خيالي . . . ولكنني أعتقد أنه صحيح .

وقال "**بلور**" :

– لاشك في هذا ، ولو سألتموني فإن عندي فكرة رائعة .

ولكن إشارة سريعة من يد القاضي أسكتته، ثم قال القاضي بهدوء :

– سنصل إلى هذا حالاً . ولكن في اللحظة الراهنة كل ما أريد التأكد منه هو أننا جميعاً نوافق على الحقائق السابقة .

فقالت "**إميلي برنت**" دون أن تتوقف عن التطريز :

– إن أقوالك تبدو منطقية . . وأنا أوافق على أن الشيطان قد تقمص أحدنا .

وهمست "**فيرا**" :

– لا أستطيع تصديق هذا . لا أستطيع .

فقال "**وارجريف**" :

– وأنت يا "**لومبارد**" ؟

– أنا أوافق تماماً يا سيدي .

وهز القاضي رأسه بارتياح ثم قال :

– والآن دعونا نفحص الشواهد . أولاً : هل هناك أي أسباب تؤدي إلى الشك في شخص معين بالذات ؟ إن عندك يا سيد "**بلور**" فيما أعتقد ما تقوله.

فقال "**بلور**" وهو يتنفس بصعوبة .

– إن مع "**لومبارد**" مسدساً . إنه بالأمس لم يقل الحقيقة ، ولقد اعترف بهذا.

فابتسم "**فيليب لومبارد**" في احتقار وقال :

– أعتقد أنه من المستحسن أن أوضح الأمر ثانية .

ثم أعاد على أسماعه باختصار ما سبق أن قاله لـ "**بلور**" و"**أرمسترونج**" .

فقال القاضي :

– إننا كلنا في الموقف نفسه للأسف ، فليس لدينا ما يؤيدنا سوى أقوالنا نحن . إن أحداً منكم لا يحس بدقة الموقف الذي يحيط بنا . . وفي رأيي أنه ليس أمامنا سوى طريقة واحدة . هل هناك أي منا يمكن أن نخرجه من دائرة شكوكنا ؟

فقال "**أرمسترونج**" بسرعة :

– إنني رجل معروف جيداً في مهنتي ، والتفكير في وضعي موضع الشك...

ومرة أخرى أسكتت حركة من يد القاضي المتكلم قبل أن يتم حديثه .

وقال السيد "جستيس وارجريف" بصوت رقيق واضح :

– إنني أيضاً رجل معروف ، ولكن هذا يا سيدي العزيز لا يثبت شيئاً ، لقد جن أطباء كثيرون من قبل ، كما جن قضاة ، وكذلك رجال الشرطة !

فقال "لومبارد" :

– على أي حال أعتقد أنك ستخرج المرأتين من دائرة الشك .

فقال القاضي بصوته القاسي المعروف جيداً في دوائر القضاء :

– هل أفهم من ذلك أنك تؤكد أن النساء لسن عرضة لجنون القتل ؟

– لا بالتأكيد ، ولكن على الرغم من هذا فإنه من الصعب احتمال ..

وتوقف . وعاد القاضي يخاطب "أرمسترونج" بالصوت نفسه .

– أعتقد يا دكتور أن النساء قادرات على توجيه ضربة مماثلة لتلك التي قتلت "مكارثر" .

– تماماً ، وإذا ما أعطين الآلة الملائمة، مثل قضيب من المطاط، فلن يحتاج الأمر إلى قوة خارقة .

– نعم . وقد حدثت الحالتان الأخريان من استعمال أدوية . ولا يستطيع أي شخص أن يحاول إنكار ذلك . ففي استطاعة أقل الناس حجماً أن يفعل هذا .

فصاحت "فيرا" بغضب :

– أعتقد أنك قد جننت .

– يا عزيزتي حاولي التحكم في عواطفك ، أنا لا أتهمك . وأرجو ألا يضايقك يا آنسة "برنت" إصراري على أننا جميعاً متساوون في تعرضنا للشك.

كانت "إميلي برنت" لاتزال تطرز ، ولم ترفع عينيها عن عملها وبصوت بارد قالت له :

– إن فكرة قضائي على حياة مخلوق – إذا تجاهلنا مسألة قتل ثلاثة مخلوقات – هي فكرة تافهة لكل من يعرف شيئاً عن شخصيتي . ولكنني أقدر تماماً حقيقة أننا غرباء بعضنا عن بعض، وفي مثل هذه الظروف لا يبرأ أي شخص إلا ببراهين قوية ،

وكما قلت من قبل ، فقد تقمص الشيطان واحدًا منا .

أي أننا كلنا موافقون . وليس هناك أي استثناء على أساس الشخصية أو المركز وحدهما .

فقال "**لومبارد**" :

– وماذا عن "**روجرز**" ؟

– ماذا عنه ؟

– حسنًا ، حسب فهمي ، فإن "**روجرز**" يخرج من الموضوع تمامًا .

– على أي أساس ؟

– أولاً – ليس لديه الذكاء لهذا العمل ، ثانيًا – فإن زوجته إحدى الضحايا .

– عندما كنت قاضيًا أيها الشاب ، حاكمت رجالاً كثيرين بتهمة قتل زوجاتهم، وقد ثبتت إدانتهم .

– حسنًا . إنني أوافقك. إن قتل الزوجة ممكن جدًّا ، بل وطبيعي ، ولكن هذا النوع .. !! وقد أصدق أن "**روجرز**" قتل زوجته لخوفه من انهيارها، أو لأنه يكرهها، أو لأنه يريد الزواج بفتاة أجمل منها ، ولكنني لا أرى فيه السيد "**أوين**" المجنون الذي يقتل الناس إحقاقًا للعدل فيبدأ العقاب لجريمة ارتكباها معًا ..

– إنك تأخذ الافتراض كدليل. إننا لا نعرف إن كان "**روجرز**" وزوجته قد تآمرا لقتل مخدومتهما أم لا . قد يكون هذا اتهامًا زائفًا الغرض منه أن تبعد الشبهات عن "**روجرز**" ، وقد يكون رعب السيدة "**روجرز**" راجعًا إلى إدراكها اختلال عقل زوجها .

– حسنًا ، فليكن ما تريد . إن "**أ.ن. أوين**" واحد منا .. وغير مسموح بأي استثناء وكلنا عرضة للشك .

– في رأيي أنه لا يجب أن يستثنى أي أحد بناء على شخصيته أو مركزه.. يجب أن ندرس احتمال براءة أي منا بناء على الحقائق ، وكي أوضح الأمر ، أقول إن واحدًا أو أكثر منا لم يكن في استطاعتهم دس السم لـ"**أنتوني مارستون**" أو مضاعفة جرعة المنوم للسيدة "**روجرز**" .. ولم يكن أمامهم الفرصة لقتل الجنرال "**مكارثر**" .

وقال "بلور" باهتمام :

- إنك تتكلم الصواب الآن يا سيدي ، هذا هو الموضوع ، ودعنا نمضي فيه ، أما بخصوص "مارستون" فلا أعتقد أن هناك أي شيء يمكن عمله ، لقد خمنا بالفعل أن شخصًا من الخارج قد وضع السم في كأسه قبل أن يملأه "مارستون" ثانية ، ولكن أي شخص في داخل الغرفة كان أقدر على فعل هذا بسهولة ، ولا أستطيع أن أتذكر إذا ما كان "روجرز" في الغرفة وقتها أم لا . ولكن أي واحد منا كان بإمكانه أن يفعلها .

وتوقف قبل أن يواصل القول :

- والآن ، خذ تلك المرأة ، السيدة "روجرز" ، لقد أحاط بها زوجها والدكتور "أرمسترونج" ، وأي منهما كان يستطيع فعلها بأسهل من الغمز .

وقفز "أرمسترونج" واقفًا وقال وهو يرتجف :

- إنني أحتج. إن هذا كذب محض. إني أقسم إن الجرعة التي أعطيتها للمرأة كانت مضبوطة .

- دكتور "أرمسترونج" !

كان الصوت الخافت ملزمًا ، فسكت الطبيب بينما مضى الصوت البارد يقول:

- إن استياءك طبيعي جدًا ، وعلى الرغم من ذلك يجب أن نعترف بأننا يجب أن نواجه الحقائق . لم يكن بإمكان أحد مضاعفة الجرعة سواك أنت و"روجرز"، ودعنا الآن نفحص موقف الموجودين الآخرين .. ما هي فرصتهم في دس السم ؟ هل يمكن تبرئة أي منا تمامًا ؟ لا أعتقد .

فقالت "فيرا" غاضبة :

- لم أكن قريبة من المرأة على الإطلاق ، ويمكنكم كلكم أن تشهدوا بهذا .

- بقدر ما تسمح لي ذاكرتي فإن الحقائق كانت كما يلي، وأرجو أن يراجعني أي منكم لو أخطأت : لقد رفع "أنتوني مارستون" والسيد "لومبارد" السيدة "روجرز" ووضعاها على الأريكة . ثم ذهب الدكتور "أرمسترونج" إليها ، وأرسل "روجرز" كي يحضر شرابًا .. وعندئذ أثير سؤال عن المكان الذي أتى منه الصوت وذهبنا كلنا إلى الغرفة المجاورة باستثناء الآنسة "برنت" التي بقيت في هذه الغرفة ،

وحدها مع المرأة المغشي عليها .

وارتفعت الدماء إلى وجنتي "**إميلي برنت**" وتوقفت عن التطريز وقالت :

– هذه وقاحة .

– وعندما عدنا إلى الغرفة كنت منحنية يا آنسة "**برنت**" فوق المرأة المسجاة على الأريكة .

– هل التعاطف الإنساني جريمة ؟

– إنني أرتب الحقائق فقط . وعندئذ دخل "**روجرز**" الغرفة حاملاً الشراب ، الذي كان بإمكانه بالتأكيد إضافة أي شيء إليه قبل دخوله ، وشربت المرأة الشراب وبعدها حملها زوجها والدكتور "**أرمسترونج**" إلى غرفتها ، حيث أعطاها "**أرمسترونج**" منومًا .

فقال "**بلور**" :

– هذا ما حدث بالضبط ، وهذا يخلي القاضي والسيد "**لومبارد**" والآنسة "**كليثون**" وأنا من المسؤولية .

– آه ! هل هذا حق ؟ يجب أن نأخذ في اعتبارنا كل احتمال ممكن .

– لا أفهم ما ترمي إليه .

– كانت السيدة "**روجرز**" ترقد في سريرها وبدأ المنوّم الذي أعطاه الدكتور لها يحدث أثره ، وإذا افترضنا أن شخصًا ما نقر على الباب في هذه اللحظة ودخل إليها حاملاً دواء أو حبوبًا ورسالة تقول إن الطبيب يأمرها بتناولها، أتستطيع أن تتخيل أنها لم تكن لتبتلع الدواء في طاعة عمياء ؟

وران الصمت ، وحرّك "**بلور**" قدميه وهو مقطب الوجه .

وقال "**فيليب لومبارد**" :

– لا أصدق هذه القصة على الإطلاق ، وبالإضافة إلى هذا فإن أحدًا منا لم يغادر الغرفة ساعات بعد ما حدث . فقد حدثت فيما بعد وفاة "**مارستون**" وكل ما تلاها .

– كان في مقدور أي واحد مغادرة غرفة نومه .. فيما بعد .

– ولكن "**روجرز**" كان وقتها في غرفتهما .

فقال "**أرمسترونج**" :

– كلا.. لقد ذهب "**روجرز**" لتنظيف غرفة المائدة ، وكان في مقدور أي شخص ان يتسلل إلى غرفة المرأة دون أن يراه أحد .

وقالت "**إميلي برنت**" :

– بالتأكيد يا دكتور. إن المرأة كانت عندئذ غارقة في النوم تحت تأثير المنوّم الذي أعطيته لها .

– نعم ، هذا محتمل ولكنه ليس مؤكداً . لن تستطيع أن تعرف مدى تأثير المنوم على المريض قبل فحصه أكثر من مرة .

فقال "**لومبارد**" :

– إنك تقول هذا بالتأكيد يا دكتور ، فهذا يناسب موقفك ، أليس كذلك ؟

ومرة ثانية اسودَّ وجه "**أرمسترونج**" بالغضب ، ولكن صوت القاضي البارد عاد يرتفع قائلاً :

– لن نجني فائدة من تبادل الاتهامات ، يجب علينا ألا نعالج سوى الحقائق وحدها. إنه من المقبول على ما أعتقد أن الاحتمال – الذي أوضحته – قائم . وأنا أوافق على أن قيمته ليست كبيرة ، على الرغم من أنها تعتمد على من هو الشخص المعني. إن ظهور الآنسة "**برنت**" أو الآنسة "**كليثون**" أو ظهور السيد "**لومبارد**" أو السيد "**بلور**" قد يكون غريبًا ، وعلى الرغم من ذلك فإني أقول إن المرأة قد تكون قبلت الزيارة دون إثارة أي شك في نفسها .

فقال "**بلور**" :

– وإلى أين يقودنا هذا ؟

✽✽✽✽✽

قال السيد "**وارجريف**" وهو يربت شفتيه وقد بدا خاليًا من العواطف الإنسانية :

– لقد بحثنا الآن الجريمة الثانية وتوصلنا إلى انه لا يمكن تبرئة اي منا من الشكوك فيما يتعلق بالجريمتين ، وبعدها نمضي إلى مقتل الجنرال "**مكارثر**".. لقد حدث

هذا في الصباح ، وإني أطلب من أي واحد منكم يستطيع أن يثبت بعده عن مكان الحادث أن يذكر هذا صراحة. أنا شخصيًا ليس عندي إثبات قاطع على بعدي عن مسرح الحادث ، لقد قضيت الصباح كله جالسًا على مقعد في الشرفة – أفكر فيما آل إليه حالنا – حتى رنَّ البوق يدعونا لتناول غدائنا ، ولكن مرت بي فترات كبيرة لم أكن مراقبًا فيها . فكان من الممكن لي خلال هذه الأوقات أن أمضي إلى شاطئ البحر فاقتل الجنرال "**مكارثر**" ثم أعود إلى مقعدي وليس لدى سوى قسمي بأني لم أغادر الشرفة ، وفي هذه الظروف فإن قسمي ليس كافيًا ، يجب أن يوجد الدليل .

فقال "**بلور**" :

– لقد قضيت الصباح كله مع السيد "**لومبارد**" والدكتور "**أرمسترونج**" وهما يشهدان على ذلك .

فقال "**أرمسترونج**" :

– لقد ذهبت إلى المنزل لإحضار حبل .

– لقد ذهبت بالتأكيد مباشرة إلى المنزل ثم عدت فوراً .. أنت تعرف هذا .

– لقد قضيت وقتًا طويلاً .

واحمرَّ وجه "**بلور**" وصاح :

– ماذا تقصد بحق الجحيم يا دكتور "**أرمسترونج**" ؟!

– لقد قلت إنك غبت طويلاً .

– ألم يكن عليَّ أن أبحث عن الحبل ؟ لا يمكن أن يعثر المرء على لفة من الحبال في دقيقة .

فقال القاضي :

– وخلال غيبة السيد "**بلور**" .. أكنتما معًا أيها السيدان ؟

فقال "**أرمسترونج**" :

– بالتأكيد ، أقصد أن "**لومبارد**" مضى لدقائق قليلة وبقيت وحدي حيث كنت . . .

فقال "**لومبارد**" مبتسمًا :

– لقد أردت الوقوف على مدى إرسال إشارات من أشعة الشمس إلى الشاطئ المقابل . كنت أبحث عن أفضل موقع ولم أغب سوى دقيقة أو اثنتين.

وأومأ "أرمسترونغ" موافقًا وقال :

– هذا حق . لم يغب ما يكفي لارتكاب جريمة قتل .. إني أؤكد هذا .

فقال القاضي :

– هل نظر أي منكما في ساعته ؟

– حسنًا ، لا .

وقال "لومبارد" :

– لم تكن ساعتي معي .

فقال القاضي :

–إن دقيقة أو اثنتين تعبير غامض .

ثم أدار رأسه إلى المرأة التي كانت مستمرة في التطريز وقال :

– وأنت يا آنسة "برنت" ؟

– لقد تمشيت مع الآنسة "كليثون" إلى قمة الجزيرة وبعدها جلست أتشمس في الشرفة .

– لا اذكر أني رأيتك هناك .

– نعم ، فقد كنت جالسة في الركن الشرقي للمنزل ، فقد كان هذا بعيداً عن الهواء .

– أجلست هناك حتى حان موعد الطعام ؟

– نعم .

– وأنت يا آنسة "كليثون" ؟

– كنت مع الآنسة "برنت" في الصباح الباكر ، وبعد ذلك تجولت قليلاً ، ثم ذهبت وتبادلت الحديث مع الجنرال "مكارثر" .

– متى كان ذلك ؟

– لا ادري . قبل الغداء بساعة تقريبًا على ما أعتقد .. أو ربما أقل ..

فسألها "بلور" :

– أكان هذا قبل أن نتحدث إليه أم بعدها ؟

– لا أدري .. لقد كان غريبًا جدًا .

فسألها القاضي :

– كيف .. ؟

– قال إننا كلنا سنموت .. وقال إنه ينتظر نهايته .. لقد .. لقد أخافني .

– وماذا فعلت بعد ذلك ؟

– عدت إلى المنزل ، وبعد ذلك وقبيل الغداء مباشرة ذهبت إلى خلف المنزل، لقد كنت قلقة للغاية طيلة هذا اليوم .

– يبقى "روجرز" .. على الرغم من أني أشك فيما إذا كانت أقواله ستضيف شيئًا إلى حصيلتنا من المعلومات .

ولم يكن لدى "روجرز" الذي استدعي إلى قاعة المحكمة سوى القليل من القول. كان مشغولاً طيلة الصباح بالأعمال المنزلية وبإعداد الطعام . وقد حمل صينية من كؤوس الشراب إلى الشرفة قبل الغداء ، ثم عاد لينقل حاجاته إلى غرفة أخرى .. ولم ينظر من النافذة طيلة الصباح فلم يرَ أي شيء يتصل بمقتل الجنرال "مكارثر" . وإنه ليقسم إنه رأى ثمانية تماثيل خزفية على مائدة الطعام عندما وضع فوقها صحاف الغداء .

وتوقف الحديث بعد نهاية أقوال "روجرز" .

وتنحنح السيد "جستيس وارجريف" .

وهمس "لومبارد" إلى "فيرا كليثون" :

– سيبدأ الآن تلخيص الوقائع .

وقال القاضي :

– لقد بحثنا ظروف هذه الجرائم الثلاث بقدر استطاعتنا . وبينما يزداد الاحتمال ضد البعض منا في واحدة منها إلا أننا لا نستطيع أن نجزم بأنه يمكن تبرئة أي شخص منا تبرئة تامة .. وإنني لمتأكد من اعتقادي بأن واحدًا من السبعة الموجودين في هذه الغرفة به لوثة جنون، وليس لدينا من دليل يقوم ضد أي شخص معين ، وكل ما نستطيع بحثه في اللحظة الراهنة هو طريقة الاتصال بالشاطئ الآخر طلبًا

للمعونة ، وفي حالة تأخر وصول المعونة فما هي أنسب الطرق لضمان سلامتنا ؟

وإني أطلب إليكم كلكم أن تبحثوا الأمر بعناية وتدلوا إليّ باقتراحاتكم . وفي الوقت نفسه فإني أحذر كل شخص ليتخذ حذره ، فحتى الآن كان العمل سهلاً أمام القاتل إذ لم يتوقع من ضحاياه أي شر .. ومنذ هذه اللحظة ، فإن واجبنا أن يحذر بعضنا البعض ، لا تخاطروا ، وتوقعوا أي خطر، هذا كل ما هنالك .

وهمس "**لومبارد**" :

– ستنفض الجلسة الآن .

- 10 -

وسألته "**فيرا**" :

– هل تصدق هذا ؟

كانت تجلس مع "**فيليب لومبارد**" على قاعدة نافذة في غرفة المعيشة . وفي الخارج كانت الأمطار تتساقط بغزارة والريح تصفر وتهز زجاج النافذة بعنف .

وأمال "**فيليب لومبارد**" رأسه قليلاً إلى الناحية الأخرى ثم قال :

– أتعنين إن كنت، أعتقد في صحة قول "**وارجريف**" العجوز بأن واحداً منا هو الجاني ؟

– نعم .

– من الصعب أن يجزم الإنسان برأي . وكما تعرفين فإن قوله صحيح منطقي.. ولكن .

– ولكنه يبدو بعيداً عن التصديق .

– الموضوع كله بعيد عن التصديق ، ولكن بعد مقتل الجنرال "**مكارثر**" لم يعد هناك شك في أمر واحد .. ليس هناك احتمال للقضاء والقدر أو الانتحار . إنه قتل محض ، ثلاث جرائم قتل حديثة الوقوع متتابعة .

– إن الأمر يبدو كحلم مزعج . إني أفكر دائماً بأن شيئاً من هذا القبيل لا يمكن أن يحدث .

– أعلم هذا ، وفي الحال ستسمعين دقًا على الباب ثم يدخل إليك شاي الصباح.

– أوه ! كم اتمنى أن يحدث هذا .

– نعم ، ولكنه لم يحدث. إننا كلنا في الحلم ويجب علينا أن نأخذ حذرنا من الآن فصاعداً .

– لو .. لو كان واحداً منهم .. فأيهم هو في رأيك ؟

– أفهم من ذلك أنك قد استثنيتنا كلينا . حسنًا ، هذا صحيح . إني أعلم جيداً أنني لست القاتل ، ولا أتخيل أنه أنت .. إنك تبدين لي من أكثر الفتيات اللائي رأيتهن تعقلاً واتزانًا . وأنا أقسم بشرفي على هذا .

فقالت "فيرا" وهي تبتسم :

– شكرًا .

– هيا يا آنسة "فيرا كليثون" .. ألن تردي لي مجاملتي ؟

فترددت "فيرا" قبل أن تقول :

– لقد اعترفت أنت كما تعلم بأنك لا تقيم وزنًا كبيرًا لحياة الإنسان .. ولكن على الرغم من هذا ، لا أستطيع أن أراك كذلك .. كالرجل الذي أملى تلك الأسطوانة .

– هذا حق ، إذا كنت أرتكب جريمة قتل أو أكثر فإنما من أجل ما سأحصل عليه منهم . إن هذا النوع من الجرائم ليس مما يتفق مع ميولي . حسنًا .. إننا سنبرئ أنفسنا ونبحث في أمر الآخرين .. من منهم " أ.ن. أوين" ؟ حسنا، بالتخمين ودون أن يكون لدي أساس أعتمد عليه في التخمين فإنني أتهم "وارجريف" .

وقالت "فيرا" دهشة :

– أوه ! ولماذا ؟

– من الصعب أن أوضح لك . ولكن لنبدأ فنقول إنه رجل كهل ظل يرأس دوائر القضاء لسنين عديدة . أي أنه قد لعب دور مندوب العدالة الإلهية أشهراً عديدة من كل عام . ولابد أن هذا قد ارتقى بتفكيره .. فأخذ يفكر في نفسه كأقوى الناس .. المتحكم في الحياة والموت ، ومن المحتمل أن عقله قد انحرف فأراد أن يقوم بدور القاضي والجلاد معًا ، في وقت واحد .

– نعم ، أعتقد أن هذا محتمل .

– ومن تتهمينه أنت ؟

وبدون أي تردد أجابت :

– الدكتور "**أرمسترونج**" .

وصفر "**لومبارد**" بفمه صفيراً خافتًا ثم قال :

– الطبيب ؟ أتعرفين ، لقد كنت أضعه في آخر القائمة .

– أوه ، كلا ! لقد نتجت حالتان من الوفاة عن السم ، وهذا يشير إلى الطبيب، ثم إنك لا تستطيع أن تتجاهل ما نحن متأكدون منه تمامًا وهو أن آخر شيء تناولته السيدة "**روجرز**" كان المنوم الذي أعطاه إياها .

– نعم ، هذا حق .

– لو حدث وجن الطبيب فسيمضي وقت طويل قبل أن يشك فيه أحد، والأطباء يجهدون أنفسهم في العمل فيرهقون أعصابهم.

– نعم، ولكنني أشك في أنه قتل "**مكارثر**" . لم يكن لديه وقت كافٍ خلال الفترة القصيرة التي تركته فيها .. إلا إذا كان قد أسرع إلى هناك ثم عاد . وأنا أشك في أن لديه المقدرة على هذا العدو دون أن يترك فيه أثرًا واضحًا .

– إنه لم يفعلها وقتها . لقد أتيحت له الفرصة فيما بعد .

– متى ؟

–عندما ذهب ليستدعي الجنرال لتناول الغداء .

وعاد "**لومبارد**" إلى صفيره ثم قال :

– وهكذا تعتقدين أنه قتله عندئذ ؟ يا لها من أعصاب باردة !

– وأي خطورة كان يتعرض لها ؟ إنه الشخص الوحيد هنا ذو الدراية الطبية . ويمكنه أن يقسم على أن الجريمة قد ارتكبت منذ ساعة على الأقل ، فمن ذا الذي يعارضه ؟

– أتعرفين .. إنها فكرة رائعة .. إنني لأعجب بها .

*****

– من هو يا سيد "**بلور** ؟ هذا ما أريد أن أعرفه . من هو ؟

كان وجه "**روجرز**" منفعلاً وقد تقلصت يداه على قماش التنظيف الذي يمسك به . وقال "**بلور**" مفتش الشرطة السابق :

– هذه هي المشكلة يا عزيزي .

– أهو واحد منا كما يقول سعادة القاضي ؟ أي واحد ؟ هذا ما أريد أن أعرفه. من هو الشيطان الذي يتخفى في مظهر البشر؟

– هذا ما نود جميعًا معرفته .

– ولكن لابد أن لديك فكرة عنه يا سيد "**بلور**" .. أليس كذلك ؟

– ربما كانت عندي فكرة . ولكنها تحتاج إلى كثير من التأكيد، فقد أكون مخطئًا. وكل ما أستطيع أن أقوله هو أنه إذا صح ما أفكر فيه فإن الشخص المعني هو شخص هادئ الأعصاب للغاية . شخص فاقد المشاعر للغاية حقًا .

ومسح "**روجرز**" العرق من فوق جبينه وقال بصوت خشن :

– إن الأمر يبدو كحلم مخيف ، أليس كذلك ؟

– ألديك أية فكرة يا "**روجرز**" ؟

فهز الساقي رأسه وقال بصوت خشن :

– لا أعلم ، لا أعلم على الإطلاق ، وهذا ما يخيفني .. أن يكون لدى المرء فكرة.

*****

قال الدكتور "**أرمسترونغ**" بعنف :

– يجب أن نخرج من هنا .. يجب .. بأي ثمن .

ونظر القاضي في نافذة غرفة التدخين مفكرًا . وأخذ يعبث بسلسلة "المونوكل" ثم قال :

– لا أدعي بالتأكيد أنني خبير بأحوال الطقس ، ولكنني أقول إنه من غير المحتمل أن يصل هنا أي قارب .. حتى لو عرفوا بما نحن فيه .. ليس قبل أربع وعشرين

ساعة . إذا هدأت الريح .

وأسقط الدكتور "أرمسترونج" رأسه بين يديه وأخذ يئن ، وقال :

– وفي هذا الوقت نكون قد قتلنا كلنا في مخادعنا .

– إني آمل ألا يحدث هذا . إني أزمع أن أتخذ كافة الاحتياطات لمنع حدوث أي شيء من هذا القبيل .

– أتذكر ؟ لقد حدثت ثلاث جرائم بالفعل .

– بالتأكيد .. ولكن يجب أن تتذكر أنهم لم يكونوا على حذر . أما نحن فلقد أخذنا حذرنا .

– وماذا يمكن لنا أن نفعل عاجلاً أو آجلاً ؟

– أعتقد أن هناك الكثير الذي نستطيع أن نفعله .

– إننا حتى ليست لدينا أية فكرة عمن يكون ..

– أتعرف أنني ما كنت لأقول هذا .

وحدّق إلى "أرمسترونج" وقال :

– أتعني أنك تعرفه ؟

فقال القاضي بحذر :

– بالنظر إلى الوقائع الفعلية ، كما يحدث في المحاكم ، فإني أعترف بأنني لا أعرف . ولكن يبدو لي بالتفكير في الأمر كله ، أن شخصًا واحداً معينًا مدان بما فيه الكفاية ... نعم أعتقد هذا .

وحدّق إليه "أرمسترونج" وقال :

– لا أفهمك !

✽✽✽✽✽

صعدت الآنسة "برنت" إلى غرفة نومها . وأمسكت بالإنجيل وجلست إلى جوار النافذة وفتحت الإنجيل . ولكنها بعد برهة من التردد وضعته جانبًا وذهبت إلى مائدة الزينة فأخرجت من أحد أدراجها كراس مذكراتها وفتحته وأخذت تكتب :

«حدث اليوم شيء فظيع . لقد توفي الجنرال "**مكارثر**" ، ولا شك في أن الوفاة حدثت نتيجة لجريمة قتل . بعد الغداء ألقى القاضي خطبة عصماء. وهو مقتنع أن القاتل واحد منا . وهذا يعني أن أحدنا تقمصه الشيطان . ولقد شككت في هذا من قبل بالفعل .. أين هو ؟

إنهم جميعًا يسألون أنفسهم هذا السؤال .. وإنني وحدي أعلم ..»

وجلست لحظة دون حراك .. وغامت عيناها .. وتقلصت أصابعها على القلم وكتبت بحروف كبيرة مهتزة :

"إن اسم القاتل هو "**بياتريس تايلور**" " .

واغمضت عينيها ..

وفجاة استيقظت منفعلة ، ونظرت إلى ما كتبته .. ومحت بغضب الحروف المهتزة التي سطرت بها الجملة الأخيرة .

وقالت بصوت خفيض :

" هل كتبت هذا ؟ لابد أنني أوشك أن أجن " .

❁❁❁❁❁

واشتدت العاصفة .

كان كل منهم في غرفة المعيشة ، وقد جلسوا متجاورين يراقب بعضهم البعض . وعندما دخل "**روجرز**" حاملاً صينية الشاي قفزوا جميعًا ..

وقال "**روجرز**" :

– هل أرخي الستائر ؟ سيزيد هذا من بهجة المكان .

ولما لم يتلق اعتراضًا أرخاها وأضاء نور الغرفة فبدت أكثر بهجة .

وقالت "**فيرا كليثون**" :

– هل ستصبين الشاي يا آنسة "**برنت**" ؟

– لا .. صبيه انت يا عزيزتي .. إن هذا الإبريق ثقيل جدًا . وقد فقدت لفتين من الصوف الرمادي ، وإن هذا ليضايقني .

وبدأ الجميع يتناولون الشاي وتبادلوا حديثًا خفيفًا مرحًا . وفي هذا الجو المرح جاء "روجرز" وهو ثائر وقال بعصبية :

– معذرة يا سادة ، ولكن هل يعلم أحدكم بما حدث لستارة الحمام ؟

فقال "لومبارد" :

– ماذا تعني يا "روجرز" ؟

– لقد اختفت يا سيدي . لقد كنت أرخي ستائر كل نوافذ المنزل . ولكني لم أجد ستارة الحمام .

فسأله القاضي :

– وهل كانت هناك في الصباح ؟

– نعم يا سيدي .

فقال "بلور" :

– ما نوعها ؟

– ستارة من الحرير القرمزي .

فقال "لومبارد" :

– وقد اختفت ؟

– نعم يا سيدي .

فأخذوا يتبادلون النظرات ..

وقال "بلور" :

– حسنًا .. وعلى كل .. فما أمرها ؟ إن من أخذها مجنون بلا شك ، ولكن هكذا كل ما يجري هنا . وعلى كل حال ، إنها لا تهم . لا يمكن قتل إنسان بستارة حريرية ، انس الأمر .

فقال "روجرز" :

– أمرك يا سيدي .



وأعد طعام العشاء فتناولوه ثم رفعت الصحاف . كان الطعام مكونًا أساسًا من المعلبات . وعندما عادوا إلى غرفة المعيشة كان التوتر أقسى من أن يحتمل.

ولما دقت الساعة التاسعة نهضت "**إميلي برنت**" واقفة وقالت :

– سآوي إلى فراشي ..

فقالت "**فيرا**" :

– وأنا كذلك .

وصحبهما "**لومبارد**" و"**بلور**" حتى دخلتا غرفتيهما وأغلقتاهما من خلفهما بالرتاجين .. ثم عاد الرجلان إلى غرفة المعيشة ثانية.

وأوى الرجال الأربعة إلى فراشهم بعد ساعة . ورآهم "**روجرز**" وهو ينظف غرفة المائدة يصعدون معًا . وسمعهم يتوقفون بأعلى السلم .. وسمع القاضي يقول :

– لست في حاجة إلى أن أنصحكم بأن تغلقوا غرفكم أيها السادة .

- 11 -

كان "**فيليب لومبارد**" معتادًا الاستيقاظ عند شروق الشمس . وقد استيقظ وفقًا لعادته هذا الصباح ، واتكأ على مرفقه وأنصت .. كانت الريح لاتزال تزمجر على الرغم من خفوت حدتها . ولم يسمع أي صوت للأمطار .

وفي الثامنة اشتد هبوب الريح ولكن "**لومبارد**" لم يسمعها .. فقد عاوده النوم.

وفي التاسعة والنصف كان جالسًا على حافة فراشه ينظر في ساعته .. ثم وضعها على أذنه .. ثم ابتسم تلك الابتسامة التقليدية الشبيهة بابتسامة الذئب . وقال :

– أعتقد أن الوقت قد حان كي نفعل شيئًا .

وبعد خمس دقائق كان يدق على باب غرفة "**بلور**" ، وفتح الأخير باب غرفته بحذر .. كان شعره مشعثًا وعيناه فيهما آثار النوم .

وقال "**لومبارد**" :

– أما تزال نائمًا إلى هذا الوقت ؟ هذا يدل على راحة ضميرك.

– ماذا هناك ؟ .

– هل ناداك أحد ؟ هل أحضر لك أحد شايًا ؟ أتعرف كم الساعة الآن ؟

ونظر "**بلور**" خلفه إلى ساعة صغيرة إلى جوار السرير وقال :

– التاسعة وخمس وثلاثون دقيقة . لا أصدق أني نمت إلى هذا الوقت . أين "**روجرز**" ؟ .

– السؤال نفسه الذي أسأله أنا .

– ماذا تعني ؟

– أعني أن "**روجرز**" مفقود . إنه ليس في غرفته أو في أي مكان آخر . وإبريق الشاي لا يغلي ، والنار ليست مشتعلة .

– أين ذهب بحق السماء ؟ هل خرج إلى الجزيرة ؟ انتظر حتى أرتدي ملابسي ، وأسأل الآخرين إن كان لديهم علم بالموضوع .

ومضى "**لومبارد**" إلى غرف الآخرين، ووجد "**أرمسترونج**" مستيقظًا وقد ارتدى ملابسه . أما السيد "**جستيس وارجريف**" فقد أوقظ من نومه مثل "**بلور**" . بينما كانت "**فيرا كليثون**" مرتدية ملابسها وكانت حجرة "**إميلي برنت**" خالية .

وسارت المجموعة الصغيرة في أرجاء المنزل . كانت غرفة "**روجرز**" خالية كما قال "**لومبارد**" . وكان على السرير آثار النائم كما وجدوا موسي الحلاقة بجانبه.

وقال "**لومبارد**" :

– لقد استيقظ من نومه بالفعل .

وقالت "**فيرا**" بصوت خافت جاهدت للاحتفاظ به ثابتًا :

– ألا تعتقد أنه مختفٍ في مكان ما .. ينتظرنا ؟

– يا عزيزتي ، إنني على استعداد للشك في أي شخص . ورأيي أن نبقى معًا حتى نعثر عليه .

وقال "**أرمسترونج**" :

– لابد أنه خارج المنزل في مكان ما بالجزيرة .

وقال "**بلور**" الذي انضم إليهم بعد أن ارتدى ملابسه دون أن يحلق ذقنه .

– وإلى أين ذهبت الآنسة "**برنت**" ؟ هذا غموض آخر .

ولكن ما إن وصلوا إلى الردهة حتى التقوا بـ "**إميلي برنت**" قادمة من خلال الباب الأمامي مرتدية معطفًا واقيًا من المطر ، وقالت :

– لا يزال البحر هادراً . لا أعتقد أن أي قارب سيأتي اليوم .

فقال "**بلور**" :

– هل كنت تتجولين في الجزيرة يا آنسة "**برنت**" ؟ ألا تدركين أن هذا عمل أخرق للغاية ؟

– أؤكد لك يا سيد "**بلور**" أنني ظللت ملتزمة حذري .

– هل رأيت "**روجرز**" ؟

– "**روجرز**" ؟ !كلا.. لم أره هذا الصباح .. لماذا تسأل ؟

ولحق بهم القاضي بعد أن حلق ذقنه وارتدى ملابسه ووضع "طاقم" أسنانه في فمه. ومضى إلى غرفة المائدة وقال :

– لقد أعد الفطور على ما أعتقد .

ودخلوا جميعًا غرفة المائدة ونظروا إلى الأطباق النظيفة المرصوصة، وإلى أدوات المائدة، وإلى صف الأكواب الموضوعة على جانب المائدة .

وكانت "**فيرا**" أول من لاحظت الأمر ، وقبضت على ذراع القاضي الذي ذعر من قسوة قبضتها بأصابعها الرياضية . وصرخت :

– التماثيل ! انظروا !

لم يكن في منتصف المائدة سوى ستة تماثيل فقط . وسرعان ما عثروا على جثته. كان ملقى في غرفة التنظيف الموجودة في الفناء . كان يعد خشبًا لإشعال الفرن، وكان لايزال ممسكًا بالبلطة الصغيرة .. بينما بلطة أكبر مستندة إلى الحائط وقد تلوث نصلها بالدماء .. وكان حجم النصل يتناسب مع الجرح العميق في مؤخر رأس "**روجرز**" .

❋❋❋❋❋

وقال "**أرمسترونج**" :

– الأمر غاية في الوضوح . لابد أن القاتل قد تسلل خلفه وقتله بضربة واحدة من البلطة بينما كان منحنيًا لتكسير الخشب .

كان "**بلور**" مشغولاً بفحص مقبض البلطة وآثار الدقيق القادمة من المطبخ . وتساءل القاضي :

– هل تحتاج الضربة إلى قوة كبيرة يا دكتور ؟

– تستطيع المرأة أن تقترفها .. إذا كان هذا هو قصدك من السؤال .

ونظر حوله .. كانت المرأتان قد عادتا إلى المطبخ فواصل حديثه قائلاً :

– تستطيع الفتاة ارتكابها .. إنها مدرسة ألعاب . إن مظهر الآنسة "**برنت**" يوحي بأنها من النوع الضعيف .. ولكن هذا النوع من النساء يخفي كثيراً من القوة.

ووقف "**بلور**" وهو يتنهد وقال :

– ليست هناك آثار لبصمات ، لقد مسح مقبض البلطة فيما بعد ..

وسمعوا صوت ضحكة .. فالتفتوا بحدة . كانت "**فيرا كليثون**" تقف في الفناء، وصاحت بصوت حاد تهزه ضحكات وحشية :

– هل يحتفظون بنحل في هذه الجزيرة ؟ أخبروني .. أين نجد عسلاً ؟ ها .. ها .

وحدّقوا إليها بدون فهم .. كان يبدو كما لو أن الفتاة العاقلة المتزنة قد جنت أمام أعينهم . ومضت تقول :

– لا تحملقوا هكذا كما لو كنت قد جننت . إن ما أسأله لهو عين العقل . النحل. النحل . ألا تفهمون ؟ ألم تقرأوا القصيدة الغبية ؟ إنها في غرفكم .. وضعت لكم كي تدرسوها . لو كان لدينا أي فهم لأتينا إلى هنا مباشرة .

والمقطع: "سبعة أطفال يقلمون فروع الشجر" هل قرأتموه ؟

والمقطع الثاني ! إنني أحفظها عن ظهر قلب :« ستة أطفال يلعبون بخلية نحل » .

ولهذا أسأل .. أيحتفظون بنحل في هذه الجزيرة ؟ أليس هذا مضحكًا ؟ أليس هذا أمرًا لعينًا ؟

وعادت إلى ضحكها الوحشي . وصفعها الدكتور "**أرمسترونج**" على وجهها .

ولهثت ثم شهقت .. وابتلعت ريقها ، ووقفت بلا حراك برهة ثم قالت :

– شكرًا .. إنني الآن على ما يرام .

وعاد الهدوء والاتزان إلى صوتها ، واستدارت عائدة إلى المطبخ وهي تقول:

– سنعد أنا والآنسة "برنت" الفطور . هل يمكن أن تحضروا بعض الأخشاب لإشعال النار ؟

وقال "بلور" :

– لقد عالجت الأمر بحنكة يا دكتور .

– اضطررت إلى هذا .. لا يمكننا أن نقبل الهستيريا وسط هذه المصائب .

كان "روجرز" قد أعد مجموعة من الأخشاب قبل مصرعه .. فجمعوها وحملوها إلى المطبخ .

وقالت "إميلي برنت" :

– شكرًا . سنسرع بقدر استطاعتنا . خلال نصف الساعة أو ثلاثة أرباع الساعة..

❁❁❁❁❁

قال "بلور" لـ"لومبارد" في صوت خفيض :

– أتعرف فيم أفكر ؟

– بما أنك توشك أن تخبرني فالتخمين لا فائدة منه .

– كانت هناك قضية في "أمريكا" . فقد لقي رجل هرم مصرعه هو وزوجته بفأس في منتصف النهار . ولم يكن هناك أحد في المنزل عدا الابنة والخادمة، وثبت أنه لم يكن في مقدور الخادمة أن ترتكب الجريمة . أما الابنة فكانت عانسًا محترمة في أواسط العمر . كان الأمر بعيدًا عن التصديق إلى الدرجة التي جعلتهم يفرجون عنها . ولكن لم يكن هناك حل آخر . فكرت في هذا عندما رأيت الفأس ولما ذهبت إلى المطبخ ورأيتها نظيفة هادئة .. ولم تهتز لها شعرة ، وهذه الفتاة تقبل في هستيرية. حسنًا ، هذا طبيعي . الشيء المنتظر حدوثه . ألا ترى هذا ؟

– ربما ..

– ولكن الأخرى نظيفة وهادئة .. ومرتدية تلك "المريلة" ، "مريلة" السيدة "**روجرز**" على ما أعتقد .. وتقول : سيكون الفطور معداً في نصف الساعة أو نحوها . إن هذه المرأة في رأيي مجنونة تماماً . والعديد من العوانس يصبن بالجنون.. جنون الإيمان .. تعتقد أنها وسيلة إلى الله .. أو شيء من هذا القبيل . إنها كما تعلم تقضي وقتها في غرفتها في قراءة الإنجيل .

وتنهد "**فيليب لومبارد**" وقال :

– إن هذا لا يثبت أي خلل عقلي يا "**بلور**" .

– ثم إنها كانت في الخارج .. مرتدية معطفًا واقيًا من المطر وتقول إنها كانت ترقب البحر .

– لقد قتل "**روجرز**" وهو يعد خشب الوقود .. أي أنه قتل فوراً بعد أن استيقظ من نومه ، فلم تكن الآنسة "**برنت**" في حاجة إلى التجوّل ساعات في الخارج بعدها . وإذا سألتني رأيي فأنا أعتقد أن قاتل "**روجرز**" لابد أن يحرص على أن يظل ملتفًا في أغطية فراشه رافعًا شخيره ..

– إنك تبتعد عن النقطة الجوهرية يا سيد "**لومبارد**" . لو أن المرأة بريئة لما وجدت الجرأة للتجول في الجزيرة بمفردها .. ما كانت لتفعل هذا إلا إذا لم يكن لديها سبب للخوف .. أي إذا كانت هي نفسها المجرمة .

– هذا رأي سديد . نعم ، إنني لم أفكر في هذا . وإني لسعيد أنك قد كففت عن الشك فيّ ..

– لقد فكرت فيك أولاً .. المسدس والقصة الغريبة التي قلتها ، أو التي لم تقلها.. ولكني أدركت الآن أني كنت متطرفًا في شكوكي ، وآمل أن يكون هذا هو شعورك نفسه نحوي .

– قد أكون مخطئًا بالتأكيد ، ولكني أشعر بأنه ليس لديك ما يكفي من الخيال للقيام بهذا العمل . كل ما أستطيع قوله ، هو أنه لو كنت أنت المجرم فإنك بذلك ممثل شديد البراعة وأنا أخلع قبعتي تحية لك . ولكن فيما بيننا يا "**بلور**" ، ونحن نضع في اعتبارنا أننا سنلاقي حتفنا قبل مرور يوم آخر ، ألم ترتكب ذلك التزوير ؟

وقال "**بلور**" بضيق :

– لا يبدو أن الحقيقة ستضيف مزيداً من المتاعب. حسنا ، إليك بها. لقد كان "**لاندور**" بريئًا تمامًا. لقد اتصلت بي العصابة ورتبنا الأمر معًا وجعلناه كبش الفداء، وضع في اعتبارك أنني ما كنت لأعترف بهذا .

– لو كان هناك شهود. إنه سر بيننا . آمل أن تكون قد حصلت على ربح وافر من العملية .

– لم أحصل على ما أستحقه ، لقد خدعتني العصابة الحقيرة ، غير أنني حصلت على ترقية على كل حال .

– وعوقب "**لاندور**" بسجن مؤبد ثم مات في السجن .

– لم أكن أعلم بأنه سيموت هناك ، أليس كذلك ؟

– نعم . كان هذا من سوء حظك .

– حظي أنا ؟ إنك تقصد حظه .

– وحظك أيضًا ؛ لأنه بسبب ما حدث فإن حياتك تشرف على نهاية غير سعيدة.

وحدّق إليه "**بلور**" قائلاً :

–حياتي ؟ أتظن أني سألقى مصير "**روجرز**" والآخرين ؟ لست أنا . إنني آخذ حذري جيداً .

– حسنًا . . إنني لا أراهن. وعلى كل حال ، فلو قتلت أنت فلن أحصل أنا على أي عائد .

– ماذا تقصد يا سيد "**لومبارد**" ؟

– أعني يا عزيزي "**بلور**" أنه ليست لديك أية فرصة .

– ماذا ؟

– أعني أن عجز مقدرتك على التخيل سيجعلك هدفًا سهلاً . . إن مجرمًا بمثل خيال "**أ . ن . أوين**" يستطيع أن يحيطك بأحابيله في أية لحظة . . يختارها هو أو هي .

واحمر وجه "**بلور**" وقال بغضب :

– وماذا عنك أنت ؟ .

واحمرً وجه "**لومبارد**" وقال :

– إن لي قدرة رائعة على التخيل . ولقد مررت بأزمات أشد من قبل وخرجت منها ، وأعتقد .. لا اقول أكثر من أنني سأخرج من هذه الأزمة .

*****

كان البيض في المقلاة .. و"**فيرا**" تحمر الخبز وهي تفكر في نفسها :

«لماذا خرجت على هذه الصورة الهستيرية البلهاء ؟ كانت غلطة .. احتفظي بهدوئك يا فتاة» .

وعلى كل فقد كانت تفخر دائمًا باتزانها ! .

كانت الآنسة "**كليثون**" رائعة .. احتفظت باتزانها .. وسبحت على الفور خلف "**سيريل**" .

«لماذا تفكرين في هذا ، لقد انتهى كل هذا .. انتهى ..».

لقد اختفى "**سيريل**" قبل أن يصل إلى الصخرة بمدة طويلة ، لقد شعرت بالتيار يسحبها إلى داخلِ البحر . وتركت نفسها له وسبحت في هدوء . وطفت حتى وصل القارب أخيراً . وأثنوا على شجاعتها واتزانها .

ولكن "**هوجو**" لم يفعل ، لقد نظر إليها فقط .

يا الله !! كم جرحتها نظرته . إنها تفكر في "**هوجو**" !

أين هو ؟ ماذا يفعل ؟ هل خطب ؟ هل تزوج ؟

وقالت "**إميلي برنت**" بحدة :

– "**فيرا**" . إن الخبز يحترق .

– آه ! آسفة يا آنسة "**برنت**" .. يا لغبائي !

ورفعت "**إميلي برنت**" آخر بيضة من المقلاة الساخنة ، وقالت "**فيرا**" وهي تضع قطعة خبز جديدة فوق شبكة المقلاة:

– إنك هادئة لدرجة رائعة يا آنسة "**برنت**" ..

– لقد ربيت على الاحتفاظ بهدوئي وعدم إحداث ضجة .

– كنت مكبوتة وأنت طفلة . إن هذا يفسر كثيراً .

ثم قالت :

– ألست خائفة ؟ أو لا يعنيك أن تموتي ؟

تموت ! لن تموت ! قد يموت الآخرون نعم ، ولكن ليس هي ، ليس "**إميلي برنت**" !

إن هذه الفتاة لا تفهم . إن "**إميلي**" ليست بخائفة بالتأكيد. إن آل "**برنت**" لا يخافون ، لقد واجه كل قومها الموت في أثناء خدمتهم في الجيش دون خوف، ولقد عاشوا حياة ناصعة كحياتها . إنها لم تفعل أي شيء تخجل منه ؛ ولهذا لن تموت بالتأكيد . «لن يغادر أينا هذه الجزيرة» . من الذي قالها ؟ الجنرال "**مكارثر**" . لم يبد أنه يهتم بالأمر ، كان يبدو .. حقيقة .. أنه يرحب بالموت . مذنب . من الخطأ أن يفكر أحد بهذه الطريقة . إن بعض الناس يفكرون بلا اهتمام في الموت إلى الدرجة التي جعلتهم يقضون على حياتهم بأيديهم. بـ"**بياتريس تايلور**" .. لقد حلمت بـ "**بياتريس**" في الليلة الماضية ، حلمت أنها في الخارج تلصق وجهها إلى النافذة وتئن طالبة أن يسمح لها بالدخول ؛ ولم ترض "**إميلي برنت**" بالدخول ، لأنها لو فعلت لحدث شيء فظيع.

وأفاقت "**إميلي**" لنفسها فجاة .لقد كانت هذه الفتاة تنظر إليها باستغراب وقالت بصوت حاد :

– هل كل شيء معد ؟ سنحمل الطعام إلى الداخل .

*****

كان تناول الفطور غريباً ، كل منهم كان يبدو في غاية الأدب .

– هل أحضر لك مزيداً من القهوة يا آنسة "**برنت**" ؟

– أتريدين شريحة من اللحم يا آنسة "**كليثون**" ؟

– قطعة أخرى من الخبز من فضلك .

ستة من الناس ، كلهم طبيعيون متمالكون أعصابهم في هدوء .. وبداخلهم كانت أفكار تدور في حلقة مفرغة :

– ثم ماذا ؟ ثم ماذا ؟ من أنا ؟

– هل تفلح الخطة ؟ إنني لأتساءل هل تستحق التجربة .. لو كان هناك وقت كافٍ، يا إلهي ! لو كان هناك وقت كافٍ .

– جنون الإيمان ، هذا الدافع . وعلى الرغم من هذا فإن الإنسان لا يصدق كلما نظر إليها، وإذا ما كنت مخطئا .

إنه جنون ، كل شيء مخبول إنني سأجن . الصوف يختفي . الستارة الحرير الحمراء . لا معنى لكل هذا .

– الغني المأفون . لقد صدّق كل كلمة قلتها له . كان سهلاً ، يجب أن آخذ حذري على الرغم من هذا .. حذراً تامًّا .

– ستة من هذه التماثيل الخزفية . ستة فقط . كم سيبقى منها عند حلول الليل؟

– من سيتناول البيضة الأخيرة ؟

– أتريد مربى !

– شكراً ، هل يمكنني الحصول على مزيد من الخبز ؟

ستة أشخاص يتصرفون طبيعيًّا على الفطور .

- 12 -

وانتهوا من تناول الوجبة ..

وتنحنح السيد "**جستيس وارجريف**" ، وقال بصوت آمر :

– أظن أنه من الأصوب أن نلتقي لنتناقش في الوضع ، نلتقي في غرفة الاستقبال بعد نصف الساعة ؟

وأظهر الجميع موافقتهم على الاقتراح .

وبدأت "**فيرا**" في جمع الأطباق ، وهي تقول :

– سأنظف المائدة وأغسل الأطباق .

فقال "**لومبارد**" :

– سنجمع نحن الأطباق .

– شكرًا .

فجلست "**إميلي برنت**" بعد أن كانت قد وقفت وقالت :

– يا للأسف !

فقال القاضي :

– أهناك ما يضايقك يا آنسة "**برنت**" ؟

– آسفة ، كنت أود مساعدة الآنسة "**كليثون**" ولكن لا أدري ماذا دهاني .. أشعر بدوار خفيف .

فاتى إليها الدكتور "**أرمسترونج**" وهو يقول :

– دوار ؟ شيء طبيعي ، صدمة متاخرة ، باستطاعتي أن أعطيك شيئًا كي..

– كلا ..

انطلقت الكلمة من شفتيها كالقذيفة ، فصدمت كل الموجودين واحمرَّ وجه "**أرمسترونج**" ، ولم يكن هناك أي شك في مظاهر الخوف والشك التي غطت وجهها .

وقال "**أرمسترونج**" بخشونة :

– كما تودين يا آنسة "**برنت**" .

– لا أريد تناول أي شيء .. بالمرة . سأجلس هنا بهدوء حتى يزول عني الدوار .

وواصلوا جمع الأطباق ، ثم غادروا الغرفة وظلت برهة تسمع همهمة الأصوات تأتي إليها من حجرة التنظيف .

كان الدوار يخف ، وشعرت بنعاس ، كما لو كانت توشك أن تنام . وكان في أذنيها طنين .. أو كانت هناك نحلة حقيقية في الغرفة ؟ وفكرت :

" إنه يشبه صوت النحلة ، النحلة .."

وفي الحال رأت النحلة .. كانت تزحف على زجاج النافذة .

لقد تحدثت "**فيرا كليثون**" عن النحل هذا الصباح . النحل والعسل .. إنها تحب العسل .. إن هناك شخصًا في الغرفة .. شخص مبتل يتساقط منه الماء.. لقد

أتت "**بياتريس تايلور**" من البحر . لم يكن عليها كي تراها سوى أن تدير رأسها.. لو تستطيع أن تنادي .. لم يكن هناك في المنزل سواها ، كانت وحدها .. وسمعت وقع أقدام .. خطوات ناعمة تقترب وراءها . الخطوات المتعثرة للغريقة. وامتلأ أنفها برائحة طيبة .

على زجاج النافذة كانت النحلة تطن .. تطن .. وعندئذ احست باللدغة .. إن النحلة تلدغها على جانب رقبتها ..

*****

وجلسوا ينتظرون "**إميلي برنت**" في غرفة الاستقبال .

وقالت "**فيرا كليثون**" :

– هل أذهب وأستدعيها ؟

فقال "**بلور**" بسرعة :

– لحظة من فضلك ..

فجلست "**فيرا**" .. ونظروا جميعًا إلى "**بلور**" متفحصين . فقال:

– انظروا إليّ جميعكم ، إليكم برأيي : إننا لسنا في حاجة في هذه اللحظة إلى أن نبحث عن سبب لهذه الجرائم إلى أبعد من حجرة المائدة التي أقسم على أن هذه المرأة هي التي نبحث عنها.

فقال "**أرمسترونغ**" :

– والدوافع ؟

– جنون التدين . ما رأيك يا دكتور ؟

– من المحتمل حقًّا ، وليس لدي أي اعتراض . ولكن ليس لدينا أي دليل بالتأكيد.

وقالت "**فيرا**" :

– كانت غريبة جداً ونحن في المطبخ نعد الفطور ، كانت عيناها ..

ثم ارتجفت ..

وقال "**لومبارد**" :

– لا يمكن أن نحكم عليها من هذا . لقد بدأنا نهرف الآن !

وقال "**بلور**" :

– هناك شيء آخر ، إنها الوحيدة التي رفضت الإدلاء بأي تفسير عن سماع تلك الأسطوانة؛ لأنها ليس لديها أي تفسير .

وتململت "**فيرا**" في مقعدها وقالت :

– إن هذا ليس حقيقيًا .. لقد أخبرتني .. فيما بعد ..

فقال "**وارجريف**" :

– وماذا قالت يا آنسة "**كليثون**" ؟

فأعادت "**فيرا**" على مسامعهم قصة "**بياتريس تايلور**" ..

فقال القاضي :

– قصة صريحة تمامًا، وأنا شخصيًا ما كنت أجد أية صعوبة في تصديقها. أخبريني يا آنسة "**كليثون**" .. هل بدت عليها أية متاعب من أثر الشعور بالإثم أو الندم على تصرفها في هذا الموضوع ؟

– لا . لقد كانت مطمئنة تمامًا .

فقال "**بلور**" :

– قلوب قدت من صخر ، هؤلاء العوانس المتدينات ! الحسد غالبًا .

فقال السيد "**جستيس وارجريف**" :

– إن الساعة الآن الحادية عشرة إلا خمس دقائق. أظن أننا يجب أن نستدعي الآنسة "**برنت**" للانضمام إلى اجتماعنا .

فقال "**بلور**" :

– ألن تتخذوا أي إجراء ؟

– لا أدري أي إجراء يمكننا اتخاذه . إن شكوكنا في اللحظة الراهنة ما هي إلا شكوك تحتاج إلى براهين، وعلى كل حال فإنني سأطلب من الدكتور "**أرمسترونج**" أن يراقب تصرفات الآنسة "**برنت**" باهتمام ، دعونا الآن نمضي إلى غرفة المائدة .

ووجدوا "**إميلي برنت**" جالسة في المقعد الذي تركوها جالسة عليه ، ولما كانت

تعطيهم ظهرها فإنهم لم يلحظوا أي نقص سوى أنه لم يكن يبدو عليها أنها تسمع وقع أقدامهم .

وعندئذ رأوا وجهها مخضبًا بالدماء وشفتيها شديدتي الزرقة وعينيها جاحظتين.

وصاح "**بلور**" قائلاً :

– يا إلهي ، لقد ماتت !

*****

وقال السيد "**جستيس وارجريف**" بصوته الهادئ الخافت :

– لقد مضى واحد آخر منا . . تأخرنا كثيراً .

وكان "**أرمسترونج**" منحنيًا فوق المرأة الميتة ، وفحص الشفتين ثم هز رأسه وهو يفحص جفنيها .

وقال "**لومبارد**" بصبر نافد :

– كيف ماتت يا دكتور ؟ كانت على ما يرام عندما تركناها هنا.

وجذب انتباه "**أرمسترونج**" علامة على الجانب الأيمن من الرقبة . وقال :

– هذا أثر حقنة تحت الجلد .

وجاء صوت طنين من جهة النافذة ، وصاحت "**فيرا**" :

– انظروا . . نحلة ! أتذكرون ما قلته لكم في الصباح ؟

فقال "**أرمسترونج**" :

– لم تكن النحلة هي التي لدغتها ، لقد رفعت نحوها يد بشرية بالمحقن .

فسأله القاضي :

– وما نوع السم التي حقنت به ؟

– إنه بالتخمين أحد مركبات "**السيانيد**" ، من المحتمل أن يكون "**سيانيد البوتاسيوم**"، مثل الذي قتل به "**أنتوني مارستون**" ، لابد أنها ماتت فور أن حقنت به.

وصاحت "فيرا" :

– ولكن تلك النحلة ! لا يمكن أن يكون الأمر مصادفة .

فقال "لومبارد" باقتضاب :

– كلا .. إنها ليست مصادفة.. إنها اللمسة الجميلة للقاتل ؟ إنه وحش لعوب ، يجب التمسك بقصيدته اللعينة بقدر الإمكان.

كان صوته مهتزًا لأول مرة ، كانت أعصابه تبدو كما لو كانت قد انهارت أخيراً بعد طول مقاومة لمواقف واهوال عصيبة ، أضاف محتداً :

– إنه جنون .. جنون مطبق ، كلنا مجانين !

فقال القاضي بهدوء :

– لايزال لدينا – على ما أعتقد – القدرة على الاستدلال. هل أحضر أيكم محقنًا معه إلى هذا المنزل ؟

فقال الطبيب بصوت متردد :

– نعم ، لقد أحضرت معي محقنًا .

وتركزت عليه أربعة أزواج من الأعين فقال :

– كلما سافرت أحمل محقنًا ، كل الأطباء يفعلون ذلك ..

فقال القاضي بهدوء :

– حقًّا ، هلا أخبرتنا يا دكتور أين ذلك المحقن الآن ؟

– في حقيبة الملابس في غرفتي .

– ربما أمكننا أن نتحقق من هذا .

وحدّق الخمسة في موكب صامت . وأفرغت محتويات الحقيبة على الأرض . ولم يكن من بينها المحقن !!

❁❁❁❁❁

وقال "أرمسترونج" بعنف :

– لابد أن أحداً قد أخذه ! .

وران الصمت على الغرفة، ووقف "**أرمسترونج**" موليًا ظهره نحو النافذة ، وقد تسلطت عليه أربعة أزواج من الأعين ملؤها الشك والاتهام ، وأخذ ينقل عينيه من "**وارجريف**" إلى "**فيرا**" وهو يردد في يأس وضعف :

– أقول لكم إن أحداً لابد قد أخذه .

وكان "**بلور**" ينظر إلى "**لومبارد**" الذي بادله النظرة . وقال القاضي :

– هنا في هذه الغرفة خمسة أشخاص .. واحد منا قاتل ، والموقف يموج بخطر عظيم ، ويجب أن نفعل كل شيء من أجل حماية الأبرياء الآخرين. إنني أسالك يا دكتور "**أرمسترونج**" عن الأدوية التي تحتفظ بها في حوزتك .

– لديّ حقيبة صغيرة من الأدوية ، يمكنك أن تفحصها ، ستجد بعض الأدوية المنوّمة ، "**تريونال**" وبعض أقراص "**السلفونال**" ، وعلبة من "**البروميد**" و"**بيكربونات الصودا**" و"**الأسبيرين**" ، ولا شيء عدا هذا ، ليس لدي أي "**سيانيد**" .

– إنني شخصيًا أحتفظ ببعض الأقراص المنوّمة ، "**سلفونال**" على ما أظن ، وأعتقد أنها يمكن أن تقتل لو استعملت بكثرة ، وأنت يا سيد "**لومبارد**" تحتفظ بمسدس معك .

فقال "**لومبارد**" بحدة :

– وأي شيء في هذا ؟

– ليس لديّ إثبات للوقائع ، أقترح جمع أدوية الطبيب ، وما عندي من أقراص "**السلفونال**" ومسدسك وأي شيء من هذا القبيل ووضعها في مكان مأمون .

فقال "**لومبارد**" :

– عليّ اللعنة لو أعطيتكم مسدسي .

– يا سيد "**لومبارد**" .. إنك رجل صغير السن، قوي البنية ، إلا أن السيد "**بلور**" قوي هو الآخر ، ولا أعرف ما ينتج عن عراك بينكما، ولكنني أقول لك إنني سأكون في جانب السيد "**بلور**" ، وكذلك الدكتور "**أرمسترونج**" والآنسة "**كليثون**" وأعتقد أنك ترى أن الكفة لن تكون في صالحك لو حاولت المقاومة.

وألقى "**لومبارد**" برأسه إلى الخلف وقال مزمجراً :

– حسنًا . ما دمت قد رتبت الأمر هكذا .
– إنك شاب عاقل ، أين هذا المسدس ؟
– في درج المنضدة المجاورة لسريري .
– حسنًا .
– سأحضره .
– أعتقد أنه من المستحسن أن نذهب كلنا معك .
– يا لك من شيطان متشكك !

ومضوا إلي غرفة "**لومبارد**" ، وذهب "**لومبارد**" إلى درج المنضدة ففتحه ثم تراجع محتدًا . كان الدرج خاليًا .

❁❁❁❁❁

وقال "**لومبارد**" متسائلاً :

– هل اطمأننتم ؟ .

كان قد خلع كل ملابسه ففتشه الرجال الثلاثة هو وحاجاته بدقة بينما بقيت "**فيرا**" في الخارج ، وبعد ذلك فتشوا "**أرمسترونج**" فالقاضي ثم "**بلور**" .

وخرج الرجال الأربعة من غرفة "**بلور**" واقتربوا من "**فيرا**" .

وقال القاضي :

– أرجو أن تفهمي يا آنسة "**كليثون**" أننا لا يمكن أن نستثني أحداً .. يجب العثور على ذلك المسدس. أعتقد أن معك رداء استحمام .

فأومأت "**فيرا**" بالإيجاب ..

– إذن فإني أطلب إليك أن تذهبي إلى غرفتك فترتدينه ثم تعودي إلينا .

فذهبت "**فيرا**" إلى غرفتها وأغلقت الباب دونها . وبعد دقيقة عادت إليهم مرتدية ثوب استحمام ضيقًا جداً .

وقال "**وارجريف**" باستحسان :

– شكرًا يا آنسة "**كليثون**" ، والآن إذا بقيت هنا فإننا سنفتش غرفتك .

وانتظرت "فيرا" في صبر في الممر حتى عادوا ، ثم ذهبت إلى غرفتها فارتدت ملابسها وعادت إليهم .

وقال القاضي :

- إننا الآن واثقون بشيء واحد . ليس هناك أي سلاح أو أدوية في حوزة أي واحد منا نحن الخمسة . وهذا حسن .. والآن سنضع الأدوية في مكان مأمون. أعتقد أن هناك صندوقًا من النحاس في غرفة التنظيف ، أليس كذلك ؟

فقال "بلور" :

- هذا حسن ، ولكن من الذي سيحتفظ بالمفتاح ؟ أنت على ما أعتقد .

ولم يجب السيد "وارجريف" .

وذهب إلى غرفة التنظيف والآخرون خلفه . كان هناك صندوق من النحاس لحفظ الأطباق وأدوات المائدة . وبتعليمات من القاضي وضعوا الأدوية في الصندوق ثم أغلقوه .

وبتعليماته أيضًا وضعوا الصندوق في دولاب في الحجرة وأغلقوه هو الآخر . وعندئذ أعطى القاضي مفتاح الصندوق إلى "فيليب لومبارد" ومفتاح الدولاب إلى "بلور" .

ثم قال :

- أنتما أقوانا جسمًا .. وسيكون من الصعب على أيكما الحصول على مفتاح الآخر . ومن المستحيل على أي منا نحن الثلاثة الباقين أن نفعل هذا . وكسر الدولاب أو الصندوق سيحدث ضجة تلفت الأنظار .

وتوقف قليلاً قبل أن يضيف :

- ولكننا لا نزال نواجه مسألة خطيرة .. ماذا حدث لمسدس السيد "لومبارد" ؟

فقال "بلور" :

- يبدو لي أن صاحبه أقدر الناس على معرفة ما حدث له .

وابيضَّ أنف "لومبارد" قبل أن يقول :

- إنني أقول لك أيها الغبي - يا من عقله أشبه بعقل الخنزير - إنه قد سرق!

فسأله "وارجريف" :

– متى رأيته آخر مرة ؟

– في الليلة الماضية . كان في الدرج عندما أويت إلى الفراش .. كان مجهزاً لاحتمال حدوث أي شيء .

– لابد أنه سرق هذا الصباح في أثناء البحث عن "روجوز" أو بعد العثور على جثته .

فقالت "فيرا" :

– لابد أنه مخبأ في مكان ما بالمنزل . يجب أن نبحث عنه .

فقال القاضي :

– إنني أشك في أن بحثنا سيكون له أية نتيجة . لقد كان لدى القاتل من الوقت ما يكفي لإخفائه في مكان أمين . لا أتخيل أننا سنعثر على هذا المسدس بسهولة .

فقال "بلور" :

– إنني لا أعرف أين يوجد ذلك المسدس . ولكنني أراهن على أني أعرف أين يوجد المحقن . اتبعوني .

وفتح الباب الأمامي وقادهم إلى خلف المنزل .

وعلى بعد قليل من نافذة غرفة المائدة وجدوا المحقن . وإلى جواره كان تمثال خزفي محطم ، التمثال الخزفي السادس .

وقال "بلور" بارتياح :

– المكان الوحيد له . فبعد أن قتلها فتح النافذة وألقى بالمحقن ثم بالتمثال.

ولم تكن هناك أية بصمات على المحقن . كان قد مسح بعناية .

وقالت "فيرا" :

– والآن دعونا نبحث عن المسدس .

فقال القاضي :

– بكل وسيلة . ولكن لنعمل على أن نظل معًا . وتذكروا أنه لو انفصل بعضنا عن بعض فسوف تتاح الفرصة للقاتل .

وفتشوا المنزل جيداً من أعلاه إلى أسفله دون جدوى .

- 13 -

« واحد منا . واحد منا .. واحد منا . »

كلمتان كانتا تترددان باستمرار في رؤوسهم .

خمسة أشخاص مذعورون .. خمسة أشخاص يراقب بعضهم البعض ، وقد توقفوا عن محاولة إخفاء قلقهم ..

كانوا كلهم يجلسون في غرفة الاستقبال . ولا يغادر الغرفة منهم سوى شخص واحد كل مرة بينما يجلس الأربعة الآخرون يترقبون عودته .

وتناولوا غداءهم في المطبخ . غداء من محتويات العلب المحفوظة .

وعندما دقت الساعة الخامسة قفزوا جميعاً .

وقالت "**فيرا**" :

– هل يريد أحدكم تناول الشاي ؟

وران صمت لبرهة ثم قال "**بلور**" :

– أنا أريد ..

فنهضت "**فيرا**" وهي تقول :

– سأذهب لإعداده .. يمكنكم أن تنتظروني هنا ..

فقال القاضي :

– أظن يا آنستي العزيزة أننا كلنا نفضل أن نراقبك وأنت تعدينه .

وبهتت "**فيرا**" ثم ضحكت ضحكة هستيرية قصيرة وقالت :

– بالتأكيد ..

وذهب الخمسة إلى المطبخ . وأعدت "**فيرا**" الشاي ثم شربته هي و"**بلور**" .. أما الثلاثة الآخرون فقد تناولوا شراباً .

وعادوا إلى غرفة الاستقبال .. كانت الغرفة مظلمة . وضغط "**لومبارد**" على زر الإضاءة ولكن المصابيح لم تُضَا فقال :

– بالتأكيد ! لقد سخن المولد؛ إذ ظل يعمل طيلة اليوم منذ مقتل "**روجرز**" .

وتردد قليلاً قبل أن يقول :

– يمكننا أن نذهب ونصلحه على ما أعتقد .

فقال القاضي :

– هناك حزمة من الشمع ، وأظن أنه من المستحسن استعمالها .

وذهب "**لومبارد**" وحده فاحضر الشمع وأشعل منه خمس شمعات .

كانت الساعة تشير إلى السادسة والربع .

*****

وفي السادسة والثلث شعرت "**فيرا**" أن البقاء في الغرفة أصبح لا يطاق . وفضلت أن تصعد إلى غرفتها لتستحم كي تهدأ أعصابها .

ونهضت وأخذت معها شمعة ثم غادرت الغرفة وأغلقت بابها على الرجال الأربعة .

وصعدت الدرج ثم سارت في الممر متجهة إلى غرفتها .

ولما فتحت باب غرفتها صدمها شيء فوقفت متصلبة .

وارتجفت فتحتا أنفها ..

البحر .. رائحة من "**سانت تريدنيك**" .

نعم .. إنها الرائحة نفسها .. لا يمكن أن تخطئها . إن الإنسان يشم رائحة البحر في الجزر بالتأكيد ، ولكن هذه الرائحة مختلفة . إنها تلك الرائحة التي كانت تلف الشاطئ في ذلك اليوم .. والأمواج تغمر الصخور المغطاة بالأعشاب البحرية .

– أيمكنني السباحة إلى الجزيرة يا آنسة "**كليثون**" ؟ .

–لماذا لا يمكنني ان أسبح إلى الجزيرة ؟

يا لبشاعة ذلك الصبي الثرثار ! لولاه لكان "**هوجو**" غنيًّا .. ولكان في مقدوره أن يتزوج من الفتاة التي يحبها .

"**هوجو**" .. من المؤكد .. إن "**هوجو**" إلى جوارها الآن .. كلا .. إنه ينتظرها في الغرفة .

وخطت إلى الأمام .. وأطفأ تيار الهواء نور الشمعة .

وغلبها خوف مفاجئ في الظلام .

وقالت لنفسها : «لا تكوني غبية .. كل شيء على ما يرام .. إن الآخرين في الطابق السفلي . لا يوجد أحد في الغرفة ، لا يمكن أن يوجد أحد . إنك تتخاذلين أيتها الفتاة» .

ولكن الرائحة .. رائحة شاطئ "**سانت تريدنيك**" .. هذا ليس بخيال .. إنه حقيقي ..

وكان هناك شخص ما في الغرفة .. لقد سمعت شيئًا .. بالتأكيد سمعت شيئًا.

وعندئذ .. وبينما هي واقفة تنصت .. لمست رقبتها يد باردة لزجة رطبة لها رائحة البحر .

❁❁❁❁❁

وصرخت "**فيرا**" .. وظلت تصرخ .. صرخات ملؤها الرعب ، صرخات بائسة تطلب النجدة . ولم تسمع الضجة التي بأسفل .. مقاعد تقلب وباب يصفق وأقدام رجال تسرع صاعدة الدرج .. لم تشعر إلا برعب هائل .

وعندما استعادت وعيها كانت الأضواء تلمع في فتحة الباب ، شمعات ، ورجال يهرعون إلى الغرفة .

– ماذا حدث بحق السماء ؟! وامصيبتاه ، ماذا حدث ؟!

وارتجفت وخطت إلى الأمام ثم تهاوت على الأرض . كانت تشعر بشخص ينحني فوقها ويحاول إفاقتها . وفجأة تعالت صيحة دهشة تقول :

– يا إلهي ! انظروا إلى هذا ..

فاستعادت حواسها . وفتحت عينيها ورفعت رأسها ورأت ما كان الرجال ينظرون إليه . حلقة كبيرة من أعشاب البحر المبتلة معلقة في السقف ، تلك الحلقة هي التي كانت تتأرجح مصطدمة برقبتها في الظلام . وبدأت تضحك بطريقة هستيرية وقالت :

– لقد كانت أعشابا بحرية .. ليست سوى أعشاب بحرية .. وكانت هي مصدر الرائحة . ثم أغمي عليها من جديد ، وعاود شخص ما محاولة إفاقتها . ومضى

وقت طويل .. وكانوا يقدمون لها شيئًا ما لتشربه ضاغطين الكأس إلى شفتيها وشمت رائحة الشراب . وكانت توشك أن تجرع الشراب عندما ألفت رأسها فجأة تذكرها بالحذر فجلست ودفعت الكأس بعيداً وقالت بحدة :

– من أين أتيتم بهذا الشراب ؟

وأجابها "**بلور**" قائلاً :

– لقد أحضرته من أسفل .

– لن أشربه .

وران الصمت برهة ثم قال "**لومبارد**" ضاحكًا :

– هذا حسن يا "**فيرا**" .. إنك تحتفظين بفطنتك حتى في حالة فقدك الوعي . سأحضر لك زجاجة لم تفتح بعد .

وذهب ليحضرها .

وقالت "**فيرا**" متشككة :

– إنني على ما يرام الآن .. سأتناول بعض الماء .

وساعدها "**أرمسترونج**" على المشي حتى وصلت إلى الحوض . وملأت كوبها من الصنبور .. وقال لها "**بلور**" بلوم :

– إن الشراب على ما يرام .

فقال "**أرمسترونج**" :

– ومن أين لنا أن نعلم ؟

– إنني لم أضع أي شيء فيه .. إن هذا ما تفكر فيه على ما أظن .

– إنني لا أقول إنك قد وضعت فيه شيئًا . ربما تكون قد فعلت أو ربما يكون أي شخص قد سمم الزجاجة من أجل هذه الحالات .

وعاد "**لومبارد**" إلى الغرفة حاملاً زجاجة جديدة وفتاحة . وقال وهو يضع الزجاجة أمام عينيها :

– إليك بها يا فتاتي .. ليس فيها أي غش .

ورفع الفتاحة خلال السدادة ثم أخرجها وهو يقول :

– من حسن حظك أن المختزن من الشراب الجيد يتوافر في هذا المنزل .

وارتجفت "**فيرا**" بشدة .

وأمسك "**أرمسترونج**" بالكاس فملاه "**لومبارد**" .

وقال "**أرمسترونج**" :

– من المستحسن أن تشربيها يا آنسة "**كليثون**" .. لقد تعرضت لصدمة قذرة.

وشربت "**فيرا**" قليلاً مما في الكاس ، وعادت الدماء إلى وجهها.

وقال "**لومبارد**" ضاحكًا :

– حسنًا .. إن جريمة واحدة لم تتم حسب الخطة .

فقالت "**فيرا**" هامسة :

– أتظن أن هذا كان هو الغرض مما حدث ؟

– توقع أن تموتي من الخوف ، كثير من الناس يموتون لهذا السبب ، أليس كذلك يا دكتور ؟

والتقط الطبيب الكاس التي أحضرها "**بلور**" وتذوقها . ولم تتغير تعبيرات وجهه، وهمهم قائلاً :

– طعمها على ما يرام .

فقال "**بلور**" بغضب :

– إذا قلت إنني سممتها فسأنتقم منك، وأحطم رقبتك .

وقالت "**فيرا**" :

– أين القاضي ؟

ونظر الرجال الثلاثة حولهم وقالوا :

– هذا غريب .. ظننت أنه حضر معنا .

وقال "**بلور**" :

– نعم .. ظننت هذا .. ما رأيك يا دكتور .. لقد كنت أنت آخر من صعد السلم منا .

– ظننت أنه تبعني .. بالتأكيد كان مضطراً إلى الإبطاء عنا .. إنه رجل كهل.

وعادوا ينظر بعضهم إلى بعض .

وقال "**لومبارد**" :

– إنه شيء ملعون غريب .

وصاح "**بلور**" :

– يجب أن نبحث عنه .

وسار إلى الباب والآخرون يتبعونه .. وكانت آخرهم "**فيرا**" .

وقال لهم "**أرمسترونج**" وهم ينزلون الدرج :

– من الطبيعي أن يكون منتظراً في غرفة الطعام .

وعبروا الردهة ، ونادى "**أرمسترونج**" بصوت عال :

– "**وارجريف**" .. "**وارجريف**" .. أين أنت ؟

ولم يسمعوا رداً .. كان هناك صمت غريب يلف أرجاء المنزل . ما عدا صوت المطر.

وعندئذ .. وفي مدخل غرفة الاستقبال وقف "**أرمسترونج**" متصلباً .. وتزاحم الآخرون خلفه ... ينظرون من فوق كتفه .

وصرخ شخص منهم ..

كان السيد "**جستيس وارجريف**" جالساً في مقعده ذي المسند العالي في نهاية الغرفة .. وتحترق شمعتان إلى جانبيه . ولكن الذي صدم الناظرين إليه أنه كان يجلس مرتدياً عباءة قرمزية وعلى رأسه الشعر المستعار الذي يرتديه القضاة.

وأشار الطبيب إلى الآخرين بأن يبقوا في أماكنهم . وعبر الغرفة إلى الجسد الصامت وهو يهتز كما لو كان سكراناً .

وتقدم وهو يحدق إلى الوجه الصامت . وبحركة سريعة رفع الشعر المستعار .. وسقط الشعر على الأرض كاشفاً الجبهة الصلعاء وفي وسطها علامة مستديرة ملطخة يتساقط منها شيء ما ..

ورفع الطبيب اليد الخالية من الحياة كي يجس نبضها . ثم استدار إلى الآخرين .. وقال بصوت خال من أي تعبير كما لو كان صادراً من بعيد :

– لقد أطلق عليه النار ..

فقال "**بلور**" :

– يا الله ! المسدس .

وقال الطبيب بالنبرة الأولى نفسها :

– أطلق الرصاص على رأسه .. مباشرة .

وقفزت "**فيرا**" إلى الشعر المستعار . وقالت بصوت ملؤه الرعب :

– كرة الصوف التي فقدت من الآنسة "**برنت**" .

وقال "**بلور**" :

– والستارة القرمزية التي فقدت من الحمام .

وهمست "**فيرا**" :

– ولهذا السبب أرادهما !

وفجأة .. ضحك "**لومبارد**" ضحكة غير طبيعية وقال :

– خمسة أطفال في طريقهم إلى المحكمة ، وفقد واحد منهم في "**تشانزي**" فلم يبق سوى أربعة .. هذه هي النهاية ، نهاية السيد "**جستيس وارجريف**" . لن يعود إلى النطق بالأحكام ، وهذه آخر مرة يجلس فيها في قاعة المحكمة حيث لا مزيد من أحكام الإعدام . لكم كان "**إدوارد سيتون**" سيضحك لو أنه كان هنا .. يا الله ، لكم كان سيضحك !

وصدم الآخرون وبهتوا لما قاله "**لومبارد**" ..

وصاحت "**فيرا**" :

– لقد قلت هذا الصباح إنه مجرم .

وتغير وجه "**لومبارد**" وقال بصوت خفيض :

– أعلم أنني قلت هذا .. حسنًا ، لقد كنت مخطئًا .. هاهوذا أحدنا قد ثبتت براءته .. أخيرا !

- 14 -

وضعوا جثة السيد "**جستيس وارجريف**" في غرفته .

ثم تناولوا عشاء صامتًا في المطبخ من الطعام المحفوظ ..

وصعدوا إلى غرفهم .. وأغلق كل منهم بابه بإحكام ووضع خلفه بعض قطع من

الأثاث زيادة في الحيطة .

وخلع "**لومبارد**" ملابسه وآوى إلى فراشه ومد يده فوضع الساعة فوق المائدة المجاورة .. وفتح الدرج مصادفة فوجد المسدس فيه .

*****

ظل "**بلور**" متيقظًا وقد جافاه النوم .. وفكره يتردد ما بين المسدس الضائع والخوف من المجرم المجهول والشخص البريء الذي أرسله إلى السجن . وفجأة ..

كانت الساعة الموجودة بالطابق السفلي تدق الواحدة .. وتوقفت أفكار "**بلور**" ، وجلس في سريره متيقظًا . لقد سمع أصواتًا .. أصواتًا خافتة جدًا .. في مكان ما خارج غرفته ..

كان هناك شبه شخص يتحرك في المنزل المظلم .

وتساقط العرق غزيراً فوق جبهته .. من هذا الذي يتحرك خلسة وفي صمت في الممر ؟ . أهو شخص يسعى إلى عمل يتصف بالشر .. إنه ليراهن على هذا.

وبهدوء .. وعلى الرغم من خوفه .. نزل من السرير وفي خطوتين كان يقف خلف باب غرفته ينصت .

ولكن الصوت توقف .. وعلى الرغم من هذا فقد كان "**بلور**" واثقًا بأنه لم يخطئ .. لقد سمع وقع الأقدام خارج هذا الباب . ووقف شعر رأسه .. لقد عرف الخوف ثانية . هناك شخص يزحف متلصصًا في الظلام . وأنصت .. ولكن الصوت لم يتكرر .

وراوده إغراء جديد .. أراد أن يخرج ويبحث الأمر . لو أمكنه أن يرى من المتلصص في الظلام . ولكن فتح الباب بمثابة عمل غير صالح .. ومن المحتمل جداً أن هذا هو ما ينتظره المتلصص .وربما كان قصده أن يسمع "**بلور**" ما سمع معتمداً على أنه سيخرج من مكمنه ليتحرى الأمر. وفجأة سمع صوت وقع أقدام حذرة للغاية ، ولكنها واضحة لرجل ينصت بكل قواه كما يفعل "**بلور**" . ومرّت الأقدام بغرفته دون تردد . ولما حدث هذا استقر رأي "**بلور**" على شيء ما ..

يجب أن يرى من المتلصص .. لقد مرت الأقدام بالتأكيد بباب غرفته متجهة إلى الدرج . إلى أين يذهب الرجل ؟

وعندما يتصرف "**بلور**" فإنه يفعل ذلك بسرعة غريبة على الرغم من ثقل وزنه، وكبر حجمه.. عاد إلى السرير وأخذ علبة الثقاب ووضعها في جيبه ثم أخذ المصباح الكهربي الصغير الموضوع إلى جوار سريره بعد أن نزع أسلاكه .. إن قاعدته تعد كسلاح جيد . وعبر الغرفة بهدوء فأزاح المقعدين من خلف الباب ثم فتح المزلاج دون صوت وكذلك قفل الباب وخطا إلى الممر .

وفي هذه اللحظة أدرك سر سماعه الأصوات بوضوح . فقد سكنت الريح .

ولمح "**بلور**" هيئة شخص يمرق من باب المنزل الأمامي . وتوقف قبل أن يجري هابطًا الدرج .. مرة أخرى كان يوشك أن يرتكب عملاً من أعمال الحماقة .. من المحتمل أن هذا طعم لإخراجه من المنزل .

ولكن الرجل الآخر لم يدرك أنه قد أخطأ بذلك ، وأنه قد أوقع نفسه في يدي "**بلور**" .

فمن بين الغرف الأربع الموجودة ، لابد أن تكون واحدة خالية وكل ما عليه هو أن يعرف أيها تلك . وطرق باب غرفة "**أرمسترونج**"، ولم يسمع أي رد .

وانتظر قليلاً ثم ذهب إلى غرفة "**لومبارد**" . ومن هذه الغرفة جاءه الرد في الحال :

– من هناك ؟

– أنا "**بلور**" ، أعتقد أن "**أرمسترونج**" ليس في غرفته . انتظر برهة .

وأسرع إلى غرفة "**فيرا**" وطرقها قائلاً :

– آنسة "**كليثون**" .. آنسة "**كليثون**" .

– من هذا ؟ ما الخبر ؟

– كل شيء على ما يرام يا آنسة "**كليثون**" .. انتظري برهة .. سأعود إليك .

وأسرع إلى غرفة "**لومبارد**" . وما إن وصل إليها حتى كان الباب قد فتح ، و"**لومبارد**" يقف فيه ممسكًا بشمعة في يده اليسرى ويده اليمنى في جيب سترة منامته، وقال له بحدة :

– ما الخبر بحق السماء ؟!

وشرح له "**بلور**" الأمر بسرعة .. ولمعت عينا "**لومبارد**" .

وقال "**لومبارد**" :

– "**أرمسترونج**" ! اي أنه ضالتنا المنشودة ! أنا آسف يا "**بلور**" فلم أعد أستطيع الثقة بأي شيء .

قالها وهو متجه إلى غرفة "**أرمسترونج**" . وطرق على باب الغرفة بعنف وهو ينادي "أرمسترونج" .. ولكنه لم يسمع أي رد.

وانحنى على ركبتيه ونظر من ثقب الباب ، ثم دفع أصبعه الصغير في الثقب وقال :

– إن المفتاح ليس في الباب من الداخل .

– هذا يعني أنه أغلق الغرفة من الخارج ثم أخذ المفتاح معه .

– احتياط طبيعي ، سنمسك به يا "**بلور**" . سنمسك به هذه المرة .. انتظرني برهة .

ثم أسرع إلى غرفة "**فيرا**" وقال لها :

– "**فيرا**" .

– نعم .

– إننا سنطارد "**أرمسترونج**" .. إنه ليس في غرفته . لا تفتحي باب غرفتك بأي حال . اتفهمين ؟

– نعم ، أفهم .

– لو اتى إليك "**أرمسترونج**" وقال إنني قتلت أو أن "**بلور**" قد قتل فلا تنصتي إليه. لا تفتحي الباب إلا إذا تحدث إليك "**بلور**" أو أنا . هل فهمت ؟

– نعم ، إنني لست بلهاء .

– رائع .

ثم عاد إلى "**بلور**" وقال له :

– والآن .. خلفه . لقد بدأت المطاردة .

– يجب أن نأخذ حذرنا .. لا تنس أن معه مسدسًا .

فقال "**لومبارد**" وهو يسرع هابطًا الدرج :

– إنك مخطئ في هذا .

ثم فتح الباب الخارجي وقال :

– لقد رفع لسان القفل إلى الداخل حتى يستطيع العودة بسهولة .

ثم واصل القول :

– إن المسدس معي .

وأبرزه قليلاً من جيبه وأضاف .

عثرت عليه ثانية في درج المنضدة هذه الليلة .

وتوقف "**بلور**" عند عتبة المنزل وقد امتقع وجهه .

ورآه "**لومبارد**" فقال :

– لا تكن أحمق يا "**بلور**" . لن أطلق عليك الرصاص . عد إلى غرفتك وحصن نفسك إذا أحببت ، أما أنا فسأمضي خلف "**أرمسترونغ**" .

وسار في ضوء القمر .. وتبعه "**بلور**" بعد تردد قصير .

*****

ونهضت "**فيرا**" وارتدت ملابسها وجلست تنتظر ، وتدور أفكار مبعثها الخوف في رأسها .. وفجأة سمعت صوت زجاج يتحطم وكان مصدر الصوت من الطابق السفلي . وأنصتت ولكن الصوت اختفى ..

وخُيِّل إليها أنها ليست سوى أوهام .

ولكن سرعان ما سمعت أصواتًا حقيقية .. لأشخاص يتحركون بأسفل .. وهمهمات .. ثم صوت شخص يصعد الدرج وتفتح أبواب ثم تغلق . وبعض أقدام تصعد إلى غرفة السطح .. وضجة تأتي من هناك .

وأخيراً عادت الخطوات إلى الممر .

وجاءها صوت "**لومبارد**" يقول :

– أأنت بخير يا "**فيرا**" ؟

– نعم .. ماذا حدث ؟

وقال "**بلور**" :

– هلا سمحت لنا بالدخول .

وفتحت لهما "**فيرا**" الباب بعد أن أزاحت المقعد والرتاج . كان الرجلان

يتنفسان بصعوبة وأقدامهما ونهاية سرواليهما مبتلة .

وعادت تسأل :

ـ ماذا حدث ؟

فقال "لومبارد" :

ـ لقد اختفى "أرمسترونج" .

*****

وصرخت "فيرا" :

ـ ماذا ؟ .

فقال "لومبارد" :

ـ اختفى من الجزيرة تمامًا .

وأضاف "بلور" ؛

ـ تبخر .. هذا هو الوصف الدقيق .

فقالت "فيرا" :

ـ هراء . إنه يختفي في مكان ما .

فقال "بلور" :

ـ كلا . أؤكد لك أنه لا يوجد في الجزيرة أي مكان يختبئ فيه .. والقمر يسطع وكل شيء واضح كما لو كنا بالنهار ، ولم نجده .

فقالت "فيرا" :

ـ لقد عاد إلى المنزل ..

فقال "بلور" :

ـ لقد فكرنا في هذا ففتشنا المنزل أيضًا . لابد أنك قد سمعتنا .. إنه ليس هنا .. أؤكد لك . لقد مضى . تبخَّر تمامًا .

فقالت "فيرا" متشككة :

ـ لا أعتقد ذلك .

فقال "**لومبارد**" :

– إن هذا حقيقي يا عزيزتي . هناك حقيقة صغيرة أخرى . لقد تحطم لوح زجاج في غرفة المائدة .. وليس هناك سوى ثلاثة تماثيل صغيرة فوق المائدة!

- 15 -

وأمضوا الصباح كله جالسين فوق قمة الجزيرة يرسلون بانعكاس أشعة الشمس علي مرآة إشارات "**مورس**" طالبين النجدة . ولكنهم لم يتلقوا أي رد . وكان الموج عالياً؛ ولذا لم يروا أي قارب على صفحة البحر . وفي الثانية بعد الظهر شعر "**بلور**" بالجوع وطلب إلى رفيقيه أن يعودا إلى المنزل لتناول الغداء. ولكن "**فيرا**" رفضت . كانت تفضل الجلوس في الخلاء . فالأمن في الخلاء أكثر منه في المنزل . ثم إن فكرة تناول الطعام المحفوظ أثارت في نفسها الغثيان ووافقها "**لومبارد**" على رأيها . وأصرّ "**بلور**" على تناول الطعام فعاد وحده إلى المنزل .

وظل "**لومبارد**" و"**فيرا**" يتجادلان في أمر "**أرمسترونج**" . كانت مصّرة على أن "**أرمسترونج**" لم يمت ، وإنما اختفى في انتظار جريمته التالية بينما كان "**لومبارد**" يعتقد أن "**أرمسترونج**" قد قتل وأن "**بلور**" هو المجرم .

وبينما هما يتجادلان صاحت "**فيرا**" فجأة :

– ما هذا ؟ أحدث زلزال ؟

– كلا .. كلا .. شيء غريب .. لقد سقط شيء ثقيل على الأرض وأظن أني سمعت صرخة قصيرة .. لقد سمعتها .

وحملقوا إلى المنزل . وقال "**لومبارد**" :

– لقد أتت من هناك .. من هناك .. من المستحسن أن نذهب لنرى ما حدث .

– كلا .. كلا .. لن أذهب .

– كما تشائين ، ولكني ذاهب .

– وهو كذلك . سأذهب معك .

وهبطا المنحدر إلي المنزل ، كانت الشرفة تبدو هادئة تحت أشعة الشمس ، وترددا عندها برهة ، وبدلاً من أن يدخلا المنزل من الباب الأمامي آثرا الدخول من الباب

الاحتياطي ليدورا حول المنزل .

وعثرا على "**بلور**" ، كان طريحًا على أرض الشرفة ناحية الشرفة .. وقد حطمت كتلة رخامية رأسه .

ونظر "**لومبارد**" إلى أعلى ثم قال :

– نافذة من تلك التي تعلونا ؟

– نافذتي ، وتلك هي الساعة التي كانت موضوعة على رف المدفأة ، تذكرتها الآن ، كانت على شكل دب .

وأمسك "**لومبارد**" بكتفيها وقال :

– إن هذا يحسم الأمر . إن "**أرمسترونج**" مختبئ في مكان ما بالمنزل ، يجب أن أعثر عليه .

*****

ولكن "**فيرا**" أمسكت به وصرخت :

– لا تكن أبله . إنه في انتظارنا الآن .. نحن التاليين في قائمة جرائمه. إنه يريدنا أن نبحث عنه. إنه في انتظار هذه الخطوة.

وتوقف "**لومبارد**" وقال مفكرًا :

– في قولك شيء من الصدق .

– وعلى كل حال فهل تعترف الآن بأنني كنت على حق ؟

– نعم .. إنه "**أرمسترونج**" ، ولكن أين اختبأ بحق السماء ؟

– وإذا كنت لم تعثر عليه في الليلة الماضية فلن تعثر عليه الآن، لابد أنه قد أعد مخبأ سريًا من قبل .

*****

وقررا أن يقضيا الليلة في العراء . وأخذا يتجولان في الجزيرة ، وفجأة توقف

"لومبارد" في مكانه وقال بحدة:
– ما هذا ؟ انظري هناك إلى جوار الصخرة الكبيرة .. كلا .. ابتعدي قليلاً.. ناحية اليمين .
وبهتت "فيرا" وقالت :
– تبدو كما لو كانت ثياب شخص ما ، دعنا نمضي ونتأكد منها .
وبينما كانا يقتربان منها قال "لومبارد" :
– إنها ثياب ، خرقة من الثياب ، هذا حذاء ذو رقبة .. دعينا نقترب أكثر.
وفجأة وقفت "فيرا" وقالت :
– إنها ليست ثيابًا .. إنه رجل .
كانت الجثة التي قذفها التيار إلى هذا المكان محصورة بين صخرتين .
ووصل "لومبارد" و"فيرا" إليها ، وانحنيا .
وجه قرمزي مشوه ، وجه شوهته آثار الغرق .
وصاح "لومبارد" :
– يا إلهي . إنه "أرمسترونج" .

- 16 -

وضحك "لومبارد" وقال :
– هذه هي الحقيقة إذن يا "فيرا" .
– ليس هناك أحد على هذه الجزيرة .. على الإطلاق .. ما عدانا نحن الاثنين.
– بالضبط ، وهكذا يعرف كل منا موقفه . أليس كذلك ؟
– كيف تمت .. خدعة تمثال الدب ؟
وفكرت "فيرا" :« لماذا لم أر وجهه على حقيقته من قبل ؟ ذئب .. وجه ذئب . تلك الأسنان المخيفة» .
وقال "لومبارد" :
– هذه هي النهاية ، أتفهمين ؟ لقد وصلنا إلى الحقيقة الآن ، وهذه هي النهاية.

– أفهم هذا ..

وحملقت إلى البحر ، لقد حملق الجنرال "**مكارثر**" إلى البحر .. متى .. بالأمس فقط ؟ أو كان ذلك في اليوم السابق ؟ ولقد قال أيضاً إنها النهاية .

لقد قالها برضا وترحيب ، ولكن الكلمة بعثت في نفس "**فيرا**" ثورة .. كلا . لن تكون النهاية .

ونظرت إلى القتيل وقالت :

– مسكين يا دكتور "**أرمسترونج**" .

– ما هذا ؟ شفقة أنثوية ؟

– ولم لا ؟ أليس لديك شفقة ؟

– ليس لدي شفقة عليه . ولن تصدر مني !

– يجب أن ننقله ، احمله إلى المنزل .

– كي ينضم إلى الضحايا الآخرين ؟ كلهم مرتبون ونظيفون .. يمكنه أن يبقى هنا .

– إذن لنجره على الأقل بعيداً عن التيار .

– كما تشائين .

وانحنى وأخذ يجر الجثة ، وانحنت "**فيرا**" إلى جواره تساعده بكل قواها .

وقال "**لومبارد**" :

– هذه ليست بالمهمة السهلة .

ولكنهما أدياها على كل حال وسحبا الجثة بعيداً عن التيار .

وقال "**لومبارد**" وهو يستقيم :

– هل استرحت ؟

– تماماً .

وكان في نغمة صوتها ما يخيف ، فقفز إلى الخلف ، وأدرك قبل أن تصل يده إلى جيبه أنه سيجده خالياً .

كانت قد ابتعدت مترين وواجهته والمسدس في يدها .

وقال "**لومبارد**" :

– أي أن هذه هي شفقتك الأنثوية . لقد أردت أن تنشلي المسدس من جيبي .

وأومأت برأسها . كانت تمسك بالمسدس بثبات .

لقد أخذ الموت يقترب من "**فيليب لومبارد**" الآن ، لم يحدث أبداً أن كان الموت قريباً منه إلى هذه الدرجة . وعلى الرغم من ذلك فيجب ألا يهزم .

وقال "**لومبارد**" لـ "**فيرا**" آمراً :

– أعطيني هذا المسدس .

وضحكت "**فيرا**" : وقال "**لومبارد**" :

– هيا ، ناوليني المسدس .

وأخذ عقله يعمل بسرعة. أي طريق ، أية طريقة . أتحدث بها إليها . أقنعها بهدوء ، أم أقفز عليها فجأة .

– انظري إليّ يا فتاتي العزيزة ، استمعي إليّ ..

ثم قفز بسرعة كالفهد . وبآلية ضغطت "**فيرا**" على الزناد . وتوقف جسد "**لومبارد**" في منتصف الطريق متراخياً .. ثم سقط على الأرض.

وحلت السكينة على "**فيرا**" .

أخيراً انتهى الأمر ..

لم يعد هناك خوف .. ولا أعصاب متوترة .

لقد أصبحت وحيدة فوق الجزيرة .

وحيدة بصحبة تسع جثث .

ولكن فيم يهم هذا ؟ إنها حية .

وجلست .. سعيدة .. وفي أمن .

لا مزيدَ من الخوف .

❁❁❁❁❁

وأخيراً وبينما الشمس تغرب حل التعب بـ"**فيرا**" ، وأدركت أنها جائعة ناعسة.. وقامت إلى المنزل ..

يا للسكون ..

في العادة يخاف المرء من النوم في منزل في كل غرفة من غرفه جثة ..

ولكنها متعبة ..

وترددت على باب المطبخ . أتدخل وتأكل ؟

إنها متعبة جداً ..

وتوقفت أمام غرفة المائدة ، كان لا يزال فوق المائدة ثلاثة تماثيل خزفية .

وضحكت "فيرا" ..

والتقطت تمثالين وألقت بهما من النافذة .

وأخذت الثالث في يدها وهي تقول :

– يمكنك أن تأتي معي يا عزيزي . لقد انتصرنا .. لقد انتصرنا .

وبدأت "فيرا" ترتقي السلم وفي يدها التمثال الصغير .

طفل صغير واحد بقي وحيداً ، كيف انتهت القصيدة ؟ آه ! نعم .

لقد تزوج وهكذا لم يبق أحد .

تزوج ! أمر مضحك أن ينتابها فجأة مرة أخرى شعور بأن "هوجو" موجود في المنزل .

نعم إن "هوجو" ينتظرها في الطابق العلوي ..

« لا تكوني بلهاء .. إنك متعبة وتتخيلين أشياء لا وجود لها » .

وصعدت الدرج ببطء، وعلى قمة الدرج سقط منها شيء ما فوق السجادة فلم يحدث صوتاً ، ولم تلحظ أنها أسقطت المسدس .. لم تكن واعية أبداً إلا للتمثال الخزفي الذي في يدها .

يا لهدوء المنزل ! وعلى الرغم من هذا لايبدو كمنزل خالٍ .

إن "هوجو" ينتظرها في الطابق العلوى .

"« طفل صغير واحد بقي وحيداً » .. ما هو السطر الأخير في القصيدة ؟ شيء عن الزواج، أم كان شيئاً آخر ؟

ووصلت إلى باب غرفتها . إن "هوجو" ينتظرها في الداخل.. إنها متأكدة من هذا.

وفتحت الباب ..

وشهقت ..

ما هذا ؟ ما هذا الذي يتدلى من خطاف بالسقف .. حبل ذو أنشوطة .. على أتم استعداد ! ومقعد للوقوف عليه .. مقعد يزاح بعيداً !

هذا هو ما أراده "هوجو" ..

آه ! إن السطر الأخير هو :

« فذهب وشنق نفسه فلم يبق أحد » .

وسقط التمثال الخزفي من يدها .. وتدحرج وانكسر .. وتحركت "فيرا" تلقائيًّا .. هذه هي النهاية .. وتسلقت المقعد وعيناها تحدقان إلى الأمام كمن يسير نائماً ، ووضعت الأنشوطة حول رقبتها . "هوجو" قادم ليرى كيف ستنفذ ما أراد .

وأزاحت المقعد بعيداً .

الخاتمة

لم تكن الشرطة التي أتت – بعد أن تلقت إخطاراً من الأهالي الذين وصلوا إلى الجزيرة في اليوم التالي بعد أن عاقهم هيجان البحر يوماً عن تلبية إشارات الاستغاثة التي رآها بعض صبيان الكشافة – لتعرف كيف حدثت هذه الجرائم .. لو لم تتلق بعد عدة أسابيع رسالة عثر عليها أحد مراكز خفر السواحل في زجاجة ألقت بها الأمواج ..

كانت الرسالة من القاضي .. السيد "**جستيس جون وارجريف**" .

كان من عادة القاضي أن يدون مذكراته ثم يضعها في زجاجة ويلقيها في البحر.. فقد كان تدوين مذكرات بما يعتمل في نفسه من نوازع يريح ضميره ويهدئ من ثورة شروره ، وكان يعتقد أن أحداً لن يطلع على هذه المذكرات طالما يتناقلها الموج في زجاجة . ولكن الزجاجة التي عثروا عليها كان فيها آخر ما كتب من مذكرات .. وانكشف اللغز لرجال الشرطة ..

لقد هداني عقلي القانوني إلى أن أصبغ جرائمي بصبغة العدالة التي أفنيت في خدمتها طوال عمري وبدأت أبحث عن ضحايا ارتكبوا جرائم لا يعاقب عليها القانون ، أو أفلتوا من العقاب لسبب ما .

وكنت معتادا إلى أن أتحدث مع كل من أقابل .. حديثًا خلابًا يدلون لي فيه بأسرارهم .

وفي أحد المستشفيات أخذت إحدى الحكيمات تحدثني عن مضار الشراب متخذة حادثة الدكتور "**أرمسترونغ**" كدليل على قولها .

وفي أحد النوادي حدثني جندي عجوز مغرم بالشائعات بقصة الجنرال "**مكارثر**" ، بينما أدلى إليّ رجل عائد لتوه من "**الأمازون**" بملخص واف لأعمال "**فيليب لومبارد**" ، وفي جزيرة "**ماجوركا**" عرفت بما فعلته "**إميلي برنت**" ، وبطرق مشابهة انضم إلى قائمتي "**أنتوني مارستون**" و"**بلور**" ، وعلى ظهر إحدى السفن عرفت من "**هوجو هاميلتون**" بما حدث من "**فيرا كليثون**" ، وبعدها عرفت بجريمة "**روجرز**" وزوجته .

ولكنني كنت لا أزال محتاجًا إلى ضحية عاشرة ..

ووجدته في شخص رجل يدعى "**موريس**" ، كان سمسارًا يقوم بعمليات مريبة، كما كان مسؤولاً عن دفع ابنة بعض أصدقائي إلى الانتحار .

وبدأت تتفتح معالم الخطة في مخيلتي . وكان من السهل عليّ أن أشتري الجزيرة متستراً تحت اسم السيد "**موريس**" الذي قام بكل العمل نيابة عني ودون أن يكشف عن حقيقتي ولم يفشل أي جزء من خطتي ، ووصل جميع الضيوف إلى الجزيرة في الثامن من شهر آب (أغسطس) .

وقبل أن أغادر "**لندن**" متجهًا إلى الجزيرة كنت قد رتبت لمقتل "**موريس**" ، كان الرجل يعاني عسر هضم مزمن ، وقبل أن يتحرك قطاري من "**لندن**" أعطيته حبة دواء يتناولها قبل نومه مباشرة . ولم يكن لدي أي خوف من أن يترك أية وثيقة خلفه تكشف عما فعلت ، فلم يكن من هذا الصنف من الرجال .

وقد رتبت جرائم القتل حسب نوع الجريمة ، فمن كانت جريمته أخف وطأة ووزراً يلقى مصرعه أولاً حتى لا يعاني الخوف والقلق الذي سوف يعانيه من كانت جريمته تستحق عقابًا أشد .

وهكذا مات "**مارستون**" والسيدة "**روجرز**" أولاً ، فقد أدركت أن "**مارستون**" من الأشخاص المتبلدي الإحساس وليس لديه أدنى إحساس بالمسؤولية . أما السيدة "**روجرز**" فقد كانت مدفوعة إلى ما فعلت بتأثير من زوجها .

وكنت قد اتفقت مع إحدى شركات التمثيل عن طريق "**موريس**" على تسجيل الأسطوانة بحجة المساعدة في إحدى تمثيليات الهواة ، وخلال الهرج الذي حدث عقبها لم يكن من الصعب عليّ أن أضع السم في كأس "**مارستون**" الخالي .

وعندما أحضر "**روجرز**" الشراب لزوجته وضعه أولاً على المائدة .. وبينما كنت أمر بتلك المائدة دسست في الكأس بعض مسحوق الحبوب المنوّمة التي كنت أتناولها .

ولقي الجنرال "**مكارثر**" مصرعه دون ألم كثير ، لم يسمعني وأنا أقترب خلفه وكان عليّ بالتأكيد أن أنتقي الوقت الذي أذهب فيه إليه بدقة حتى لا يراني أحد .

وكما كنت أتوقع من قبل فقد فتشوا المنزل والجزيرة بدقة بحثًا عن المجرم . ولما لم

يجدوا شيئًا ثارت الشكوك في أنفسهم . وتبعًا لخطتي فقد كان عليّ أن أجد حليفًا واخترت الدكتور "**أرمسترونج**" لهذا الدور .. كان يعرفني جيداً؛ ولذا فقد كنت مطمئنًا إلى أن الشك لن يساوره فيّ . كانت كل شكوكه مركزة في "**لومبارد**" ، ولمحت له إلى أن لديّ خطة قد أحتاج فيها إلى خداع القاتل كي يكشف عن نفسه .

وقتلت "**روجرز**" في صباح العاشر من أغسطس (آب) ، كان يعد الأخشاب لإشعال الفرن فلم يسمعني وأنا أقترب خلفه .

وخلال الهرج الذي حدث بعد مقتل "**روجرز**" تسللت إلى غرفة "**لومبارد**" وسرقت مسدسه وكنت أعلم أن معه مسدساً .. وفي الحقيقة كنت أنا الذي أمرت "**موريس**" أن يؤكد عليه أن يحضر معه مسدساً .

وفي أثناء تناول الفطور أسقطت آخر حبة لدي من المنوم في فنجان قهوة "**إميلي برنت**" وأنا أناولها إياه .. وهكذا كانت في شبه غيبوبة عندما حقنتها بمحلول مركز من السيانيد . وكانت مسألة النحلة في الحقيقة لعبة طفولية ، ولكنها أدخلت السرور إلى نفسي بطريقة ما .. كنت مغرماً باتباع ما جاء في القصيدة بدقة . وبعدها حدث ما توقعته ، فقد فتشنا كلنا بدقة ، وعقب هذا أوحيت إلى "**أرمسترونج**" بأننا يجب أن ننفذ خطتنا .

ونفذنا الخطة في المساء ، قطعة من الطين الأحمر فوق الجبهة والستارة الحمراء والصوف ، وهكذا أصبح المسرح معداً ، وكان ضوء الشمعات الخابي يخفي أية أخطاء ، وزيادة في الحرص لم يسمح "**أرمسترونج**" لأي منهم بالاقتراب مني .

وتمت الخطة بنجاح ، فقد جمعت صرخة الآنسة "**كليثون**" عندما عثرت على الأعشاب البحرية التي وضعتها في غرفتها .. جمعت هذه الصرخة الرجال الثلاثة في غرفتها . وفي هذه الأثناء تنكرت في صورة القتيل .

وحملوني إلى غرفتي ، وهذا ما كنت أريده. نفذ "**أرمسترونج**" دوره في الخطة بإتقان ، وهكذا لم يعد أي منهم قلقًا من ناحيتي، كانوا كلهم يخافون بعضهم البعض .

وكنت قد رتبت موعداً مع "**أرمسترونج**" خارج المنزل حيث نختبئ في مكان ما

خلف المنزل كي نرقب أي شخص يقترب منا دون أن يرانا ، ولم يكن يشك فيّ، وهكذا غرق . كان ذلك سهلاً .. فقد دفعته من فوق الصخور إلى البحر الهائج ، وعدت إلى المنزل . وكان وقع قدمي هو الصوت الذي سمعه "**بلور**" ، فبعد أن دخلت غرفة "**أرمسترونج**" خرجت منها محدثًا جلبة مقصودة كي يسمعها كل منهم وعندما وصلت إلى أسفل الدرج سمعت صوت باب يفتح ، ولابد أنهم لمحوا شبحي وأنا أمرق من الباب الخارجي .

ومضت دقيقتان قبل أن يتبعوني ، وكنت قد درت حول المنزل ثم دخلت من نافذة غرفة المائدة التي كنت قد تركتها مفتوحة .. وأغلقت النافذة ثم كسرت زجاجها ، وبعدها صعدت إلى غرفتي ومددت نفسي فوق السرير .

وكنت قد أعدت المسدس إلى درج "**لومبارد**" ، وكنت قد خبأته في قاع أحد صناديق البسكويت ، ولم يتبادر إلى ذهن أحد أن يبحث هناك .

وجاءت اللحظة التي كنت أنتظرها ، ثلاثة أشخاص يخاف بعضهم البعض ومع أحدهم مسدس . وراقبتهم من نافذة غرفتي وعندما جاء "**بلور**" وحيداً إلى المنزل كنت أنتظره حاملاً تمثال الدب الرخامي .

وانتهى "**بلور**" .. ومن نافذتي رأيت "**فيرا**" تطلق النار على "**لومبارد**" ، وما إن فعلت هذا حتى رتبت المسرح في غرفتها .. كانت تجربة نفسية شائعة ، هل سيدفعها تأنيب ضميرها وتوترها العصبي عقب قتلها رجلاً بالإضافة إلى ما يوحيه الجو المحيط بها والقصيدة إلى الانتحار ؟ كنت أعتقد هذا .. وتبين أني كنت على حق ، وشنقت "**فيرا كليثورن**" نفسها أمام عيني حيث كنت أقف متوارياً خلف الشماعة .

والآن .. آخر حلقة في الجريمة ، تقدمت إلى الأمام ورفعت المقعد ووضعته إلى جوار الحائط .

وبعد ..

بعد أن أنتهي من كتابة مذكراتي سأضعها في الزجاجة وسألقيها في البحر.. ثم أذهب إلى غرفتي وأرقد على سريري ، وفي مقبض باب الغرفة شبكت منتصف حبل مطاطي معلق في السقف وفي الطرف الآخر سأشبك المسدس ، وسأمسك

بالمسدس بمنديل حتى لا تضيع منه آثار بصمات الآنسة "**كليثون**" ، وبعد أن أطلق الرصاص على نفسي لابد أن قوة ارتداد الطلقة ستلقي بالمسدس بعيداً بعد أن يسقط من يدي فيتحرر من الحبل الذي يتحرر هو الآخر من مقبض الباب ويبقى متدليًا من السقف في براءة .

ولن يشك أحد في أنه انتحار .. جريمة أخرى .

وسوف يعثر عليّ وأنا مسجي على سريري بكامل هندامي .. مضروبًا بالرصاص في جبهتي طبقًا لما سجله ضحاياي في مذكراتهم ، ولن يمكن تحديد مواعيد وفاتنا بالضبط وقت فحص الجثث .

وعندما ينخفض المد سوف تأتي من الشاطئ الآخر قوارب محملة بالرجال.

وسوف يجدون عشر جثث ولغزا بلا حل فوق جزيرة "**نيجر**" .

توقيع

"**جستيس وارجريف**"

تمت بعون الله